مفهوم التنمية الشاملة

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

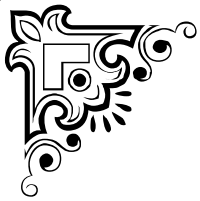

مُهِمَّةُ الْإِعْمَارِ وَالتَّنْمِيَةِ فِي الْأَرْضِ

فَإِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَكَرَّمَهُ وَسَخَّرَ لَهُ مَا خَلَقَهُ، وَأَنَاطَ بِهِ مُهِمَّةَ عِمَارَةِ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَخْلَفَهُ فِيهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وَهَذَا الْخَلِيفَةُ هُوَ آدَمُ، وَبَنُو آدَمَ.(*).

لَقَدْ خَلَقَ اللهُ ﷻ لِلْإِنْسَانِ كُلَّ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ؛ فَذَلَّلَ لَهُ الْأَرْضَ وَمَهَّدَهَا، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، وَجَعَلَهَا صَالِحَةً لِقِيَامِ حَيَاةٍ كَرِيمَةٍ تَسَعُ الْإِنْسَانِيَّةَ كُلَّهَا؛ حَيْثُ يَقُولُ ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠].

«﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ اللهُ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثَافَةِ، وَالِاسْتِقْرَارِ، وَاخْتِلَافِ أَوْصَافِهَا وَأَحْوَالِهَا ﴿لِلْأَنَامِ﴾ أَيْ: لِلْخَلْقِ؛ لِكَيْ يَسْتَقِرُّوا عَلَيْهَا، وَتَكُونَ لَهُمْ مِهَادًا وَفِرَاشًا يَبْنُونَ بِهَا، وَيَحْرُثُونَ، وَيَغْرِسُونَ، وَيَحْفِرُونَ، وَيَسْلُكُونَ سُبُلَهَا فِجَاجًا، وَيَنْتَفِعُونَ بِمَعَادِنِهَا وَجَمِيعِ مَا فِيهَا مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ حَاجَتُهُمْ؛ بَلْ ضَرُورَتُهُمْ»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ صَفَر ١٤٣٢هـ| ٢١-١-٢٠١١م.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٨٢٨).

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨].

«﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ أَيْ: جَعَلْنَاهَا فِرَاشًا لِلْخَلْقِ يَتَمَكَّنُونَ فِيهَا مِنْ كُلِّ مَا تَتَعَلَّقُ بِهِ مَصَالِحُهُمْ؛ مِنْ مَسَاكِنَ، وَغِرَاسٍ، وَزَرْعٍ، وَحَرْثٍ وَجُلُوسٍ، وَسُلُوكٍ لِلسُّبُلِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَىٰ مَقَاصِدِهِمْ وَمَآرِبِهِمْ، وَلَمَّا كَانَ الْفِرَاشُ قَدْ يَكُونُ صَالِحًا لِلِانْتِفَاعِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ؛ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ مَهَّدَهَا أَحْسَنَ مِهَادٍ عَلَىٰ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ وَأَحْسَنِهَا، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ الَّذِي مَهَّدَ لِعِبَادِهِ مَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ»(١).

وَقَالَ -جَلَّ شَأْنُهُ-: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٠-٣٣].

«﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ ﴿دَحَىٰهَآ﴾ أَيْ: أَوْدَعَ فِيهَا مَنَافِعَهَا.

وَفَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أَيْ: ثَبَّتَهَا بِالْأَرْضِ، فَدَحَىٰ الْأَرْضَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، كَمَا هُوَ نَصُّ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ، وَأَمَّا خَلْقُ نَفْسِ الْأَرْضِ؛ فَمُتَقَدِّمٌ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ..﴾ إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ٩- ١١]، فَالَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْعِظَامَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ وَالْأَجْرَامِ،

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٨١١).

وَالْأَرْضَ الْغَبْرَاءَ الْكَثِيفَةَ وَمَا فِيهَا مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الْخَلْقِ وَمَنَافِعِهِمْ لَا بُدَّ أَنْ يَبْعَثَ الْخَلْقَ الْمُكَلَّفِينَ فَيُجَازِيَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ أَحْسَنَ فَلَهُ الْحُسْنَىٰ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] أَيْ: جَعَلَكُمْ فِيهَا لِتَعْمُرُوهَا، وَمَكَّنَكُمْ بِمَا آتَاكُمْ مِنْ عِمَارَتِهَا.(*).

«﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَيِ: ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْهَا؛ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي خَلَقَ مِنْهَا أَبَاكُمْ آدَمَ، ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أَيْ: جَعَلَكُمْ فِيهَا عُمَّارًا تُعَمِّرُونَهَا وَتَسْتَغِلُّونَهَا»(٣).

«﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: خَلَقَكُمْ فِيهَا ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أَيِ: اسْتَخْلَفَكُمْ فِيهَا، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمَكَّنَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَبْنُونَ، وَتَغْرِسُونَ، وَتَزْرَعُونَ، وَتَحْرُثُونَ مَا شِئْتُمْ، وَتَنْتَفِعُونَ بِمَنَافِعِهَا، وَتَسْتَغِلُّونَ مَصَالِحَهَا، فَكَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ؛ فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ فِي عِبَادَتِهِ»(٤).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

---

(١) «**تيسير الكريم الرحمن**»: (ص٩٠٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ صَفَر ١٤٣٢هـ| ٢١-١-٢٠١١م.

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٣١).

(٤) «**تيسير الكريم الرحمن**»: (ص٣٨٤).

وَهَذَا التَّسْخِيرُ يَحْمِلُ فِي طِيَّاتِهِ كُلَّ مَظَاهِرِ التَّكْرِيمِ لِهَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْأَرْضِ لِعِمَارَتِهَا، وَعِمَارَتُهَا بِعِبَادَةِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا، وَبِالْقِيَامِ عَلَىٰ مَا يُصْلِحُهَا.

وَقَدْ زَوَّدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذَا الْإِنْسَانَ بِكُلِّ وَسَائِلِ الِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، وَسَلَّحَهُ بِكُلِّ أَدَوَاتِ الْمَعْرِفَةِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَىٰ قِيَادَةِ دِفَّةِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَإِدَارَةِ دَوَالِيبِ الْعَمَلِ فِيهَا، وَلِكَيْ لَا يَضِلَّ وَلَا يَشْقَىٰ بَعَثَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَيْهِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ فِيهَا الشَّرَائِعُ وَالْحَقُّ الْمُبِينُ، وَعَلَّمَهُمْ أُصُولَ التَّعَايُشِ وَمَبَادِئَ التَّعَامُلِ، وَلَفَتَ أَنْظَارَهُمْ إِلَىٰ ضَرُورَةِ الِالْتِزَامِ بِآدَابِ الشَّرَائِعِ وَالْأَدْيَانِ، وَلَمْ يُبِحْ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ طَائِعًا مُخْتَارًا، وَأَشْعَرَهُمْ عِظَمَ الْمَسْؤُولِيَّةِ عَنِ الْإِخْلَالِ وَالتَّقْصِيرِ، فَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ صَفَر ١٤٣٢هـ| ٢١-١-٢٠١١م.

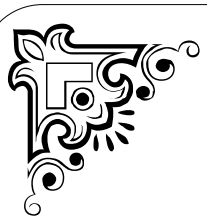

مَفْهُومُ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ

عِبَادَ اللهِ! لَطَالَمَا كَانَ الْإِسْلَامُ سَبَّاقًا دَوْمًا إِلَى كُلِّ الْأُصُولِ وَالْقَوَاعِدِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا تَطْوِيرُ وَتَحْسِينُ الْحَيَاةِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، وَمَفْهُومُ التَّنْمِيَةِ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَالَّتِي عُرِفَتْ بِأَسْمَاءٍ مُرَادِفَةٍ أُخْرَى؛ مِثْلَ (التَّعْمِيرِ)، (الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ)، وَ(الْعِمَارَةِ).

إِنَّ مَفْهُومَ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ يَعْنِي الْعَمَلَ بِمَنْهَجِ اللهِ فِي كُلِّ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ الْوُصُولِ إِلَى حَالَةٍ مِنَ الْكِفَايَةِ وَالْكَفَاءَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ[1]. وَيُمْكِنُ تَعْرِيفُهَا مِنْ مَنْظُورٍ إِسْلَامِيٍّ بِأَنَّهَا: مَجْمُوعَةُ الْجُهُودِ الْمُتَنَوِّعَةِ وَالْمُنَسَّقَةِ الَّتِي تُؤَهِّلُ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ لِلْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ -تَعَالَى-، وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّ مَفْهُومَ التَّنْمِيَةِ وَفْقَ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ يُمَثِّلُ ظَاهِرَةً جُزْئِيَّةً مِنْ عَمَلِيَّةِ الِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ وَعِمَارَتِهَا الَّتِي بَيَّنَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

وَهُوَ يُعَبِّرُ عَنِ الزِّيَادَةِ وَالنَّمَاءِ الْمُرْتَبِطِ بِالطَّهَارَةِ وَالْبَرَكَةِ وَالْأَجْرِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، مَعَ عَدَمِ تَجَاهُلِ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

---

(١) بتصرف واختصار من مقال: «مفهوم التنمية في الإسلام».

وَلِهَذَا نَجِدُ فَرِيضَةَ الزَّكَاةِ -وَالَّتِي تَعْنِي: الطُّهْرَ، وَالشَّرَفَ، وَالنَّمَاءَ، وَالزِّيَادَةَ وَالْبَرَكَةَ[1](*)- **أَحَدَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، فَسَمَّى اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **الْإِخْرَاجَ مِنَ الْمَالِ زَكَاةً، مَعَ أَنَّهُ نَقْصٌ بِالْمِعْيَارِ الْمَادِّيِّ الْبَحْتِ، فِي حِينِ يَنْمُو بِالْبَرَكَةِ أَوْ بِالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَعَكْسُهُ الرِّبَا الَّذِي قَالَ اللهُ -تَعَالَى- فِيهِ:** ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، **مَعَ أَنَّهُ زِيَادَةٌ فِي الْمَالِ وَنُمُوٌّ لَهُ فِي الظَّاهِرِ.**

وَهَذَا التَّصَوُّرُ لِمَفْهُومِ التَّنْمِيَةِ هُوَ مَا يُمَيِّزُ الْمَنْهَجَ الْإِسْلَامِيَّ عَنِ الْمَفَاهِيمِ الْوَضْعِيَّةِ الَّتِي تُرَكِّزُ فِي الْغَالِبِ عَلَى الْبُعْدِ الْمَادِّيِّ الدُّنْيَوِيِّ مِنْ خِلَالِ قِيَاسِ التَّنْمِيَةِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ بِمُؤَشِّرَاتٍ مَادِّيَّةٍ فِي مُجْمَلِهَا.

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْمُرَادِفَاتِ اللُّغَوِيَّةِ لِكَلِمَةِ التَّنْمِيَةِ فِي الْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ؛ فَالْإِسْلَامُ سَبَقَ كُلَّ فِكْرٍ مُتَقَدِّمٍ فِي مُعَالَجَةِ قَضَايَا التَّنْمِيَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُصْطَلَحُ (التَّنْمِيَةِ) مَوْجُودًا بِلَفْظِهِ فَقَدْ وُجِدَ بِأَلْفَاظٍ عَدِيدَةٍ مُتَرَادِفَةٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ نُصُوصِهِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَكِتَابَاتِ عُلَمَائِهِ؛ مِثْلَ (التَّعْمِيرِ)، وَ(الْعِمَارَةِ)، وَ(الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ)، وَ(التَّثْمِيرِ).

التَّزْكِيَةُ: وَتَأْتِي بِمَعْنَىٰ النَّمَاءِ وَالزِّيَادَةِ، وَالصَّلَاحِ، وَالطُّهْرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

---

(١) «غَرِيبُ الحَدِيثِ» لِابْنِ قُتَيْبَةَ: ١/ ١٨٤، وَ«مَقَايِيسُ اللُّغَةِ»: ٣/ ١٧ و ١٨، وَ«لِسَانُ العَرَبِ»: ١٤/ ٣٥٨ و ٣٥٩.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ -مُجْمَلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ: الزَّكَاةُ-» - مُحَاضَرَة ٢٢ الِاثْنَيْن ٣ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ| ٥-٩-٢٠١٦م.

«قَالَ -تَعَالَىٰ- لِرَسُولِهِ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ، آمِرًا لَهُ بِمَا يُطَهِّرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُتَمِّمُ إِيمَانَهُمْ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾: وَهِيَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ، ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أَيْ: تُطَهِّرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ.

﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ أَيْ: تُنَمِّيهِمْ، وَتَزِيدُ فِي أَخْلَاقِهِمُ الْحَسَنَةِ، وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَتَزِيدُ فِي ثَوَابِهِمُ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأُخْرَوِيِّ، وَتُنَمِّي أَمْوَالَهُمْ»(١).

الْإِنْبَاتُ: وَيَأْتِي بِمَعْنَىٰ التَّنْشِئَةِ، وَالظُّهُورِ، وَالِارْتِفَاعِ، وَهِيَ مَعَانٍ دَلَّتْ عَلَيْهَا كَلِمَةُ (التَّنْمِيَةِ)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠].

«﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ أَيْ: بَسَاتِينَ ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أَيْ: حُسْنِ مَنْظَرٍ؛ مِنْ كَثْرَةِ أَشْجَارِهَا، وَتَنَوُّعِهَا، وَحُسْنِ ثِمَارِهَا»(٢).

التَّكْثِيرُ: وَيَأْتِي بِمَعْنَىٰ الزِّيَادَةِ وَالتَّسَابُقِ فِي الْكَثْرَةِ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَىٰ بَعْضِ مَعْنَىٰ كَلِمَةِ (التَّنْمِيَةِ)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

«﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴿إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ أَيْ: نَمَّاكُمْ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الزَّوْجَاتِ، وَالنَّسْلِ، وَالصِّحَّةِ، وَأَنَّهُ مَا ابْتَلَاكُمْ بِوَبَاءٍ أَوْ أَمْرَاضٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُقَلِّلَةِ لَكُمْ، وَلَا سَلَّطَ عَلَيْكُمْ عَدُوًّا

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٣٥٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٦٠٧).

يَجْتَاحُكُمْ، وَلَا فَرَّقَكُمْ فِي الْأَرْضِ، بَلْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِاجْتِمَاعِكُمْ، وَإِدْرَارِ الْأَرْزَاقِ، وَكَثْرَةِ النَّسْلِ»[١].

كَمَا أَشَارَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ إِلَى مُرَادِفَاتٍ أُخْرَى لِكَلِمَةِ (التَّنْمِيَةِ) فِي الْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ؛ مِثْلَ: (التَّرْبِيَةِ)، (التَّثْمِيرِ)، (التَّنْشِئَةِ)، (الْبِنَاءِ)، (الْبَرَكَةِ)[٢].

❊❊❊

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٢٩٦).

(٢) بتصرف واختصار من مقال: «مفهوم التنمية من منظور إسلامي».

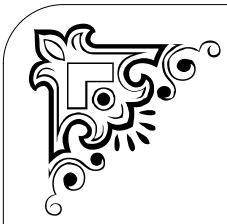

مَجَالَاتُ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ

إِنَّ الْمَفْهُومَ الْإِسْلَامِيَّ لِلتَّنْمِيَةِ لَهُ خَصَائِصُ (الشُّمُولِيَّةِ، وَالتَّوَازُنِ)؛ بِحَيْثُ يَشْمَلُ الْجَوَانِبَ الْمَادِّيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ مَعًا، وَيُلَبِّي حَاجَةَ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ فِي تَنَاسُقٍ تَامٍّ وَتَوَافُقٍ وَتَعَاوُنٍ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ.. التَّنْمِيَةُ مَفْهُومٌ شَامِلٌ وَمُرَكَّبٌ لِجَوَانِبَ عَدِيدَةٍ؛ دِينِيَّةٍ، وَبَشَرِيَّةٍ، وَعِلْمِيَّةٍ، وَاقْتِصَادِيَّةٍ، وَاجْتِمَاعِيَّةٍ، وَثَقَافِيَّةٍ، وَبِيئِيَّةٍ، وَأَخْلَاقِيَّةٍ[١].

✽✽✽

(١) بتصرف واختصار من مقال: «مفهوم التنمية من منظور إسلامي».

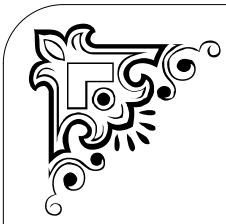

تَنْمِيَةُ الْعَامِلِ الْبَشَرِيِّ

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ مَجَالَاتِ التَّنْمِيَةِ الَّتِي أَوْلَاهَا الْإِسْلَامُ اهْتِمَامًا بَالِغًا: تَنْمِيَةَ الْمَوْرِدِ الْبَشَرِيِّ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ قُوَّةٌ حَيَوِيَّةٌ وَنَشَاطٌ مُتَوَقِّدٌ، وَتُعَدُّ الْمَوَارِدُ الْبَشَرِيَّةُ مِنَ الْمَقَايِيسِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي تُقَاسُ بِهَا ثَرْوَةُ الْأُمَمِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ هَذِهِ الْمَوَارِدَ عَلَى رَأْسِ الْأُصُولِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي الْوَضْعِ الْحَضَارِيِّ وَالِاقْتِصَادِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ لِلدُّوَلِ؛ إِذِ الْعُنْصُرُ الْبَشَرِيُّ وَدَرَجَةُ كَفَاءَتِهِ هُوَ الْعَامِلُ الْحَاسِمُ لِتَحْقِيقِ التَّقَدُّمِ[1]؛ فَلَا بُدَّ -إِذَنْ- مِنْ تَنْمِيَةِ الْعَامِلِ الْبَشَرِيِّ، وَبِنَائِهِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَقَدِيًّا، وَعِلْمِيًّا، وَجَسَدِيًّا، وَنَفْسِيًّا.. تَنْمِيَةُ الْفَرْدِ عَقَائِدِيًّا وَخُلُقِيًّا وَعِلْمِيًّا مِنْ خِلَالِ تَنْشِئَتِهِ التَّنْشِئَةَ الصَّحِيحَةَ، وَتَرْبِيَتِهِ عَلَى الْمَبَادِئِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِيُصْبِحَ لَهُ دَوْرُهُ الْفَعَّالُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ.

مِنْ أَعْظَمِ مَحَاوِرِ تَنْمِيَةِ الْعَامِلِ الْبَشَرِيِّ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ: تَرْبِيَةُ الْمُسْلِمِ وَتَنْشِئَتُهُ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَتَحَمُّلِ تَكَالِيفِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنَا لِنَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ أَرْسَلَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ، وَنَبَّأَ النَّبِيِّينَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَلِأَجْلِ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ قَامَتِ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ جُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ؛ فَلِأَجْلِ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلِأَجْلِ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ هَذَا كُلُّهُ.

---

(١) بتصرف واختصار من مقال: «**ركائز التنمية في الإسلام**».

التَّوْحِيدُ أَوَّلُ مَا أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَأَوَّلُ أَوَامِرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، تَوَجَّهَ بِهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَوَّلِ أَمْرٍ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

هَذَا أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، وَأَرْسَلَ لِأَجْلِهِ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ لِأَجْلِهِ الْكُتُبَ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَحَدٍ أَخَلَّ بِهِ عَمَلًا.(*).

التَّوْحِيدُ يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ الْهُدَى الْكَامِلُ وَالْأَمْنُ التَّامُّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

أَخْبَرَ ﷻ أَنَّ الْإِنْسَانَ حِينَ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَى عِلْمِهِ بِالتَّوْحِيدِ؛ فَإِنَّ نَفْسَهُ تَكُونُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ؛ لِأَنَّهَا تَتَّجِهُ كُلُّهَا وِجْهَةً وَاحِدَةً فِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِهَا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

فَتِلْكَ حَصِيلَةُ التَّوْحِيدِ؛ تَجْمَعُ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ فِي وِحْدَةٍ وَاحِدَةٍ وَاتِّجَاهٍ وَاحِدٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

مِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ: أَنَّ اللهَ تَكَفَّلَ لِأَهْلِهِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَحُصُولِ الْهِدَايَةِ، وَالتَّيْسِيرِ لِلْيُسْرَى، وَإِصْلَاحِ الْأَحْوَالِ، وَالتَّسْدِيدِ فِي

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «أَهَمِّيَّةُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٠هـ| ٢٢-٨-٢٠٠٩م.

الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، فَتَجِدُ الْمُوَحِّدَ مُسَدَّدًا فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، لَا تَتَأَتَّىٰ مِنْهُ دَنِيَّةٌ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ لَفْظُ سُوءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ الْمِنْهَاجِ يَسْعَىٰ حَثِيثًا إِلَىٰ الْغَايَةِ مُسْتَبْشِرًا بِرِضْوَانِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*).

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنَاطَ التَّكْلِيفِ فِي الْإِسْلَامِ: الْبُلُوغُ مَعَ الرُّشْدِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ؛ وَلَكِنْ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ أَنْ يُرَاعُوا أَبْنَاءَهُمْ فِي صِغَرِهِمْ، وَيُرَبُّوهُمْ عَلَىٰ تَحَمُّلِ تَكَالِيفِ الْإِسْلَامِ؛ حَتَّىٰ تَسْهُلَ عَلَىٰ نُفُوسِهِمْ، وَيَنْشَئُوا عَلَىٰ حُبِّهَا، وَيُدَاوِمُوا عَلَيْهَا.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(٢). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ: «**عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرٍ**»(٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ: تَتِمَّةُ بَابِ: فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ» - الْأَحَد ٢٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٠-٧-٢٠١٤م.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (١/ ١٣٣، رقم ٤٩٤)، والترمذي في «**الجامع**»: (٢/ ٢٥٩، رقم ٤٠٧) واللفظ له، من حديث: سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ.

ولفظ أبو داود: «**مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا**».

=

وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يَقُومُونَ بِتَرْبِيَةِ النَّاشِئَةِ عَلَىٰ الْأَدَبِ الْكَرِيمِ، وَعَلَىٰ الْتِزَامِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ فَقَدْ رَأَىٰ الرَّسُولُ ﷺ رَبِيبَهُ فِي حَجْرِهِ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنهما.. رَآهُ تَطِيشُ يَدُهُ فِي الصَّحْفَةِ أَثْنَاءَ الطَّعَامِ -وَكَانَ يَأْكُلُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ-، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ -مُعَلِّمًا، وَمُهَذِّبًا، وَمُؤَدِّبًا-: «**يَا غُلَامُ! سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»(١).

وَيَبْقَىٰ أَثَرُ هَذَا التَّأْدِيبِ فِي نَفْسِ الْغُلَامِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا، اسْتَمِعْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ بَعْدُ: «**فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

أَيْ: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ هَيْئَةَ أَكْلَتِي بَعْدُ، عَلَىٰ حَسَبِ مَا عَلَّمَهُ إِيَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(٢) عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رضي الله عنها قَالَتْ: «كُنَّا نُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ -أَيْ: مِنَ الصُّوفِ-، فَإِذَا بَكَىٰ أَحَدُهُمْ عَلَىٰ الطَّعَامِ؛ أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ -تَعْنِي: اللُّعْبَةَ- حَتَّىٰ يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ».

=

قال الترمذي: «حديث حسن»، والحديث حسنه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (١/ ٢٦٧، رقم ٢٤٧).

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ٥٢١، رقم ٥٣٧٦)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٥٩٩، رقم ٢٠٢٢).

(٢) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٢٠١، رقم ١٩٦٠)، وأخرجه أيضا: مسلم في «الصحيح»: (٢/ ٧٩٨-٧٩٩، رقم ١١٣٦).

فَهَكَذَا تَرْبِيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ رَبَّىٰ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ رضي الله عنهم أَبْنَاءَهُمْ، فَخَرَجَتْ أَجْيَالٌ مُسْلِمَةٌ تَنْشُرُ الْخَيْرَ فِي رُبُوعِ الْأَرْضِ، وَعَاشَتْ بِالْإِسْلَامِ وَلِلْإِسْلَامِ.(*).

وَاهْتَمَّ الْإِسْلَامُ بِتَنْمِيَةِ الْمُسْلِمِ عِلْمِيًّا؛ مِنْ عُلُومٍ شَرْعِيَّةٍ وَمَادِّيَّةٍ؛ فَقَدْ مَدَحَ اللهُ سبحانه وتعالى الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ، وَحَثَّ عِبَادَهُ عَلَىٰ الْعِلْمِ وَالتَّزَوُّدِ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ.

فَالْعِلْمُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ وَأَجَلِّ الْعِبَادَاتِ؛ عِبَادَاتِ التَّطَوُّعِ؛ لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّ دِينَ اللهِ عز وجل إِنَّمَا قَامَ بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْعِلْمُ وَالْبُرْهَانُ.

وَالثَّانِي: الْقِتَالُ وَالسِّنَانُ.

فَلَا بُدَّ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ دِينُ اللهِ وَيَظْهَرَ إِلَّا بِهِمَا جَمِيعًا، وَالْأَوَّلُ مِنْهُمَا مُقَدَّمٌ عَلَىٰ الثَّانِي؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُغِيرُ عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ تَبْلُغَهُمُ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ عز وجل، فَيَكُونَ الْعِلْمُ قَدْ سَبَقَ الْقِتَالَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «رَمَضَانُ وَنَكْبَةُ فِلَسْطِينَ» - الْجُمُعَة ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ١٨-٥-٢٠١٨م.

فَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ مُقَابِلٍ؛ أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ أَيْ: كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ؟! وَالطَّرَفُ الثَّانِي الْمُفَضَّلُ عَلَيْهِ مَحْذُوفٌ؛ لِلْعِلْمِ بِهِ.

فَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا أَوْ قَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ؛ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ هُوَ مُسْتَكْبِرٌ عَنْ طَاعَةِ اللهِ؟!

الْجَوَابُ: لَا يَسْتَوِيَانِ؛ فَهَذَا الَّذِي هُوَ قَانِتٌ يَرْجُو ثَوَابَ اللهَ، وَيَحْذَرُ الْآخِرَةَ؛ هَلْ فِعْلُهُ ذَلِكَ عَنْ عِلْمٍ أَوْ عَنْ جَهْلٍ؟

الْجَوَابُ: عَنْ عِلْمٍ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

لَا يَسْتَوِي الَّذِي يَعْلَمُ وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ، كَمَا لَا يَسْتَوِي الْحَيُّ وَالْمَيِّتُ، وَالسَّمِيعُ وَالْأَصَمُّ، وَالْبَصِيرُ وَالْأَعْمَىٰ.

الْعِلْمُ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْإِنْسَانُ، وَيَخْرُجُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، الْعِلْمُ يَرْفَعُ اللهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ؛ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ مَحَلُّ الثَّنَاءِ، كُلَّمَا ذُكِرُوا أُثْنِيَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا رَفْعٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ؛ فَإِنَّهُمْ يَرْتَفِعُونَ دَرَجَاتٍ بِحَسَبِ مَا قَامُوا بِهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا عَمِلُوا.

إِنَّ الْعَابِدَ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَعْبُدُ رَبَّهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَيَتَبَيَّنُ لَهُ الْحَقُّ، وَهَذِهِ سَبِيلُ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فَالْإِنْسَانُ الَّذِي يَتَطَهَّرُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَىٰ طَرِيقٍ شَرْعِيٍّ؛ هَلْ هُوَ كَالَّذِي يَتَطَهَّرُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ رَأَىٰ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يَتَطَهَّرَان؟!

أَيُّهُمَا أَبْلَغُ فِي تَحْقِيقِ الْعِبَادَةِ؛ رَجُلٌ يَتَطَهَّرُ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ اللهَ أَمَرَ بِالطَّهَارَةِ، وَأَنَّهَا هِيَ طَهَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَتَطَهَّرُ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَمْ رَجُلٌ آخَرُ يَتَطَهَّرُ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْمُعْتَادُ عِنْدَهُ؟

بِلَا شَكٍّ أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ الَّذِي يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ.

فَهَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَذَاكَ؟! وَإِنْ كَانَ فِعْلُ كُلٍّ مِنْهُمَا وَاحِدًا؛ لَكِنْ هَذَا عَنْ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ يَرْجُو اللهَ ﷻ، وَيَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَشْعُرُ بِأَنَّهُ مُتَّبِعٌ لِلرَّسُولِ ﷺ.

بِالْعِلْمِ يَعْبُدُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، فَيَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَيَتَنَوَّرُ قَلْبُهُ بِهَا، وَيَكُونُ فَاعِلًا لَهَا عَلَىٰ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، لَا عَلَىٰ أَنَّهَا عَادَةٌ؛ وَلِهَذَا إِذَا صَلَّىٰ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ فَإِنَّهُ مَضْمُونٌ لَهُ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنْ أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.(*).

«إِنَّ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ هُوَ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الثَّنَاءُ، وَيَكُونُ الْحَمْدُ لِفَاعِلِهِ؛ وَلَكِنِّي مَعَ ذَلِكَ لَا أُنْكِرُ أَنْ تَكُونَ لِلْعُلُومِ الْأُخْرَىٰ فَائِدَةٌ؛ وَلَكِنَّهَا فَائِدَةٌ ذَاتُ حَدَّيْنِ: إِنْ أَعَانَتْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَعَلَىٰ نَصْرِ دِينِ اللهِ، وَانْتَفَعَ بِهَا عِبَادُ اللهِ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ خَيْرًا وَمَصْلَحَةً.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ الْعِلْمِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ» الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ - الْأَحَدُ ١١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١١-٢٠١٢م.

وَقَدْ يَكُونُ تَعَلُّمُهَا وَاجِبًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ دَاخِلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ تَعَلُّمَ الصِّنَاعَاتِ فَرْضُ كِفَايَةٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّاسَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَطْبُخُوا بِهَا، وَيَشْرَبُوا بِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْتَفِعُونَ بِهَا»(١). (*).

وَمِنَ الْجَوَانِبِ الَّتِي حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى الِاهْتِمَامِ بِهَا لِتَنْمِيَةِ الْعَامِلِ الْبَشَرِيِّ: صِحَّةُ الْإِنْسَانِ؛ فَفِي نُصُوصِ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ الصِّحَّةِ وَفَضْلِ الْعَافِيَةِ، وَجَلَالِ ذَلِكَ؛ لِجَمِيلِ أَثَرِهِ، وَلِعَظِيمِ قَدْرِهِ فِي دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عِنْدَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ.

لَمَّا جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ طَالُوتَ مَلِكًا مَبْعُوثًا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ دَاوُدَ عليه السلام؛ قَالَ الْقَوْمُ: إِنَّهُ لَمْ يَتَمَيَّزْ عَلَيْنَا بِكَثِيرِ مَالٍ، ولا بِشَيْءٍ، فَقَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٧].

فجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمَيْزَةَ مَحْفُوظَةً لَدَيْهِ بِأَنْ آتَاهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ، وَبَسْطَةً فِي الْجِسْمِ.(*/٢).

---

(١) كتاب «**العلم**» ضمن مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين: (٢٦/ ١٧-٢٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ الْعِلْمِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رحمه الله» الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ - الْأَحَدُ ١١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١١-٢٠١٢م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «رِحْلَةُ الْمَرَضِ وَفَضْلُ الْعَافِيَةِ» - الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ: «فَضْلُ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ».

وَفِي فَضْلِ الْعَافِيَةِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ**(١) **فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ**»(٢). (*).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأَعْرَاف: ٣١].

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ، وَلَا تُسْرِفُوا بِتَجَاوُزِ الْحَدِّ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ إِلَىٰ مَا يُؤْذِي أَوْ يَضُرُّ.

إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَا يُحِبُّ مَنْ أَسْرَفَ فِي الْمَأْكُولِ، وَالْمَشْرُوبِ، وَالْمَلْبُوسِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْإِسْرَافَ يُوصِلُ إِلَىٰ الْوُقُوعِ فِي الْمَضَارِّ وَالْمَهَالِكِ، أَوِ الظُّلْمِ وَالتَّحْرِيفِ فِي الدِّينِ.

---

(١) (الغَبنَ) بالكسر: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ ضَعْفٍ وَاهْتِضَامٍ في الرأي والعقل والدين، يقال: غَبِنَ رأيه إذا نقصه فهو غَبِينٌ ومَغْبُونٌ، أي: ضعيف الرأي، انظر: «**الصحاح**»: (٦/ ٢١٧٢)، و «**مقاييس اللغة**»: (٤/ ٤١١)، مادة: (غبن).

قال ابن الجوزي في «**كشف المشكل**»: (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨، رقم ٩٨٢): «اعْلَم أَنه قد يكون الْإِنْسَان صَحِيحا وَلَا يكون متفرغا لِلْعِبَادَةِ لاشتغاله بِأَسْبَاب المعاش، وَقد يكون متفرغا من الأشغال وَلَا يكون صَحِيحا، فَإِذا اجْتمعَا للْعَبد ثمَّ غلب عَلَيْهِ الكسل عَن نيل الْفَضَائِل فَذَاك الْغبن، كَيفَ وَالدُّنْيَا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أَكثر».

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١١/ ٢٢٩، رقم ٦٤١٢)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ دَرْسِ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» - ١ - ١١ - ٢٠٠٢م.

وَمَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ بِإِرَادَتِهِ فِي زُمْرَةِ الَّذِينَ لَا يُحِبُّهُمُ اللهُ؛ فَقَدْ جَعَلَهَا عُرْضَةً لِنِقْمَتِهِ، وَعَذَابِهِ الشَّدِيدِ.(*).

وَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَّمَنَا آدَابَ الطَّعَامِ، وَمِنْهَا: أَنْ يُمْسِكَ عَنِ الْأَكْلِ قَبْلَ الشِّبَعِ؛ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حَتَّىٰ لَا يَقَعَ فِي التُّخَمَةِ الْمُهْلِكَةِ، وَالْبِطَنَةِ الْمُذْهِبَةِ لِلْفِطْنَةِ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّىٰ قُبِضَ». وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).(*/٢).

وَأَوْلَى الْإِسْلَامُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِصِحَّةِ الْمُسْلِمِ النَّفْسِيَّةِ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ، يَقُولُ النَّفْسِيُّونَ الْمُحْدَثُون: «إِنَّهُ لَا عُصَابَ فِي الْكِبَرِ إِلَّا بِعُصَابٍ فِي الصِّغَرِ» يَعْنِي: الْإِنسَانُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُصَابَ بِالْمَرَضِ النَّفْسِيِّ فِي كِبَرِهِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ أُصُولُ هَذَا الْمَرَضِ النَّفْسِيِّ قَدْ تَحَصَّلَ عَلَيْهَا فِي صِغَرِهِ.

وَحَدَّدَهَا زَعِيمُ هَؤُلَاءِ (سِيجْمُونْدُ فُرُويد) بِستِّ سَنَوَاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ السِّتَّ سَنَوَاتِ الْأُولَىٰ خَطِيرَةٌ جِدًّا فِي حَيَاةِ أَيِّ طِفْلٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأَعْرَاف: ٣١].

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ٥٤٩، رقم ٥٤١٦)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٢٨١ - ٢٢٨٢، رقم ٢٩٧٠).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْآدَابُ الْإِسْلَامِيَّةُ» - «آدَابُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ» - الْخَمِيس ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٧-٧-٢٠١٤م.

عِنْدَمَا تَأْتِي القَسْوَةُ، وَيَأْتِي الضَّرْبُ فِي هَذِهِ السِّنِّ الْبَاكِرَةِ، وَهُوَ مَمْنُوعٌ بِمَفْهُومِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(١).

لَمْ يَأْتِ الضَّرْبُ عَلَىٰ تَرْكِ الصَّلَاةِ -وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ فِي دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ الصَّلَاة-.

وَتَرْكُ الصَّلَاةِ هُوَ أَكْبَرُ كَبِيرٍ يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ؛ لِأَنَّ الشَّهَادَتَيْنِ هُمَا أَمْرٌ قَلْبِيٌّ يُقِرُّ بِهِ الْقَلْبُ، وَيَنْطِقُ بِهِ اللِّسَانُ.

وَأَمَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ؛ فَهُوَ أَمْرٌ يَتَعَلَّقُ بِالْجَسَدِ، لَيْسَ هُنَاكَ خَطَأٌ يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ الطِّفْلُ - وَهُوَ دُونَ العَاشِرَةِ- أَكْبَرَ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَأْمُرِ الرَّسُولُ ﷺ بِالضَّرْبِ عَلَىٰ تَرْكِ الصَّلَاةِ إِلَّا عِنْدَ بُلُوغِ الْعَشْرِ.

يَقُولُ ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ**»: مُجَرَّدُ أَمْرٍ، مَعَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ مِنَ التَّرْكِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ.

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (١/ ١٣٣، رقم ٤٩٥)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**».
والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (١/ ٢٦٦، رقم ٢٤٧).

وَلَكِنَّ الضَّرْبَ هَاهُنَا عَلَىٰ تَرْكِ الصَّلَاةِ مَمْنُوعٌ بِنَصِّ حَدِيثِ الرَّسُولِ ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ**»، ثُمَّ: «**وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ**».

يَأْتِي هَذَا الرَّجُلُ -وَهُوَ ضَالٌّ مُنْحَرِفٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ (سِيجْمُونْدُ فُرُويد)- يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا عُصَابَ فِي الْكِبَرِ إِلَّا بِعُصَابٍ فِي الصِّغَرِ»، وَيُحَدِّدُ السِّتَّ سَنَواتٍ الأُولَىٰ.

نَقُولُ لَهُ: إِنْ كُنْتَ قَدِ اهْتَدَيْتَ لِهَذَا، وَكَانَ صَحِيحًا بِالْفِطْرَةِ أَوْ بِوَسَائِلِ الْعِلْمِ الحَدِيثِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ قَالَ ذَلِكَ مُنْذُ مَا يَزِيدُ عَلَىٰ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةِ سَنَةٍ ﷺ.

إِذَنْ؛ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا يُحَدِّدُ أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ إِنَّمَا يَحْمِي الْإِنْسَانَ مِنْ أَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَىٰ الْبَوَادِرِ الَّتِي تُؤَدِّي بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْمَرَضِ النَّفْسِيِّ.

وَإِذَنْ؛ فَهَذِهِ الْقَسْوَةُ الْمُفْرَطُ فِيهَا، وَهَذِهِ السُّلُوكِيَّاتُ الْخَاطِئَةُ تُؤَثِّرُ عَلَىٰ النَّفْسِيَّاتِ الْغَضَّةِ الطَّرِيَّةِ، ثُمَّ يَتَأَتَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَرَضُ النَّفْسِيُّ.

وَإِذَنْ؛ فَأَمْرَاضُنَا النَّفْسِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ سُلُوكِيَّاتٌ خَاطِئَةٌ.(*).

وَمِنْ سُبُلِ تَنْمِيَةِ الْعَامِلِ الْبَشَرِيِّ: الِاهْتِمَامُ بِتَرْبِيَتِهِ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْمُثُلِ الْعَالِيَةِ.. «إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَىٰ الْعَبْدِ: أَنْ يَكُونَ فِي كَفَالَةِ الصَّالِحِينَ الْأَخْيَارِ؛

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ دَرْسِ: «سُلُوكِيَّاتٌ خَاطِئَةٌ».

فَإِنَّ الْمُرَبِّيَ وَالْكَافِلَ لَهُ الْأَثَرُ الْأَعْظَمُ فِي حَيَاةِ الْمَكْفُولِ، وَأَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ الْمُرَبِّينَ بِالتَّرْبِيَةِ الطَّيِّبَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَىٰ الْحَثِّ عَلَىٰ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَالتَّرْهِيبِ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ»(١).

وَمِثَالُ ذَلِكَ: مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ -عَلَيْهَا السَّلَامُ-؛ «فَقَدْ كَانَتْ أُمُّهَا -زَوْجَةُ عِمْرَانَ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرُؤَسَائِهِمْ، وَذَوِي الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ عِنْدَهُمْ- نَذَرَتْ حِينَ ظَهَرَ حَمْلُهَا أَنْ تُحَرِّرَ مَا فِي بَطْنِهَا لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، يَكُونُ خَادِمًا لِبَيْتِ اللهِ، مُعَدًّا لِعِبَادَةِ اللهِ؛ ظَنًّا أَنَّ الَّذِي فِي بَطْنِهَا ذَكَرٌ.

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ -مُعْتَذِرَةً إِلَىٰ اللهِ، شَاكِيَةً إِلَيْهِ الْحَالَ-: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ**﴾ [آل عمران: ٣٦].

أَيْ: أَنَّ الذَّكَرَ الَّذِي لَهُ الْقُوَّةُ وَالْقُدْرَةُ عَلَىٰ مَا يُرَادُ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ بِخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

﴿**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ**﴾ [آل عمران: ٣٦].

فَحَصَّنْتُهَا بِاللهِ مِنْ عَدُوِّهَا هِيَ وَذُرِّيَّتَهَا، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ حِفْظٍ وَحِمَايَةٍ مِنَ اللهِ لَهَا؛ وَلِهَذَا اسْتَجَابَ اللهُ لَهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ**﴾

---

(١) «**تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**» ضمن مجموع مؤلفات العلامة السعدي: (٣/ ٢٥٤)، (الرياض: دار الميمان، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

[آل عمران: ٣٧]، أَيْ: إِنَّ اللهَ جَبَرَ أُمَّهَا، وَصَارَ لَهَا عِنْدَ رَبِّهَا مِنَ الْقَبُولِ أَعْظَمَ مِمَّا لِلذُّكُورِ ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧].

فَجَمَعَ اللهُ لَهَا بَيْنَ التَّرْبِيَةِ الْجَسَدِيَّةِ وَالتَّرْبِيَةِ الرُّوحِيَّةِ؛ حَيْثُ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ كَافِلُهَا أَعْظَمَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ فَإِنَّ أُمَّهَا لَمَّا جَاءَتْ بِهَا لِأَهْلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا؛ لِأَنَّهَا ابْنَةُ رَئِيسِهِمْ، فَاقْتَرَعُوا وَأَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ، فَأَصَابَتِ الْقُرْعَةُ زَكَرِيَّا؛ رَحْمَةً بِهِ وَبِمَرْيَمَ.

فَكَفَّلَهَا أَحْسَنَ كَفَالَةٍ، وَأَعَانَهُ عَلَىٰ كَفَالَتِهَا بِكَرَامَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْهُ، فَكَانَتْ قَدْ نَشَأَتْ نَشْأَةَ الصَّالِحَاتِ الصِّدِّيقَاتِ، وَعَكَفَتْ عَلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّهَا، وَلَزِمَتْ مِحْرَابَهَا»(١). (*).

الْمُسْلِمُ الْفَائِقُ.. الْمُسْلِمُ الْمُمْتَازُ الَّذِي يُرِيدُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَيْفًا لَا كَمًّا؛ لِأَنَّ الْغُثَاءَ لَا قِيمَةَ لَهُ فِي الْمُنْتَهَىٰ، وَإِنَّمَا هُمُ الَّذِينَ إِذَا رَفَعُوا الْأَكُفَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا، وَإِذَا مَا اسْتَنْصَرُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ نَصَرَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ، وَإِذَا مَا طَلَبُوا مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَبَّاهُمْ، وَأَجْزَلَ لَهُمُ الْعَطَاءَ مِنَّةً وَفَضْلًا.

وَهَذَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-، كَانَ يُسَمَّىٰ زَيْنَ الْقُرَّاءِ؛ لِأَنَّ قِرَاءَتَهُ بِتِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ كَانَتْ تَنْفُذُ إِلَىٰ الْقُلُوبِ.. إِلَىٰ الْأَرْوَاحِ مِنْ غَيْرِ

---

(١) المصدر السابق: (٣/ ٢٥٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «تَيْسِيرُ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ» - الْمُحَاضَرَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ - الثُّلَاثَاءُ ٣ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٨-١٠-٢٠١٣م.

حِجَابٍ وَلَا بَوَّابٍ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ بَيْنَ قِرَاءَتِهِ وَالْقُلُوبِ مِنْ حَاجِزِ شَحْمٍ وَلَا لَحْمٍ وَلَا عِظَامٍ، وَإِنَّمَا يُخَاطِبُ الْقُلُوبَ كِفَاحًا.

مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ كَانَ فِي الْجَيْشِ هُنَالِكَ فِي الشَّمَالِ مَعَ الْكُفَّارِ يُجَاهِدُ جِلَادًا فِي سَبِيلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَذَلِكَ الْقَائِدُ الْمُسْلِمُ الْبَطَلُ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- عَلَىٰ رَأْسِ الْجَيْشِ، وَهُوَ أَمِيرُهُ، يَقُولُ: أَيْنَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ؟ لَقَدْ دَنَتْ سَاعَةُ الصِّفْرِ، وَسَوْفَ نَبْدَأُ الْآنَ فِي الْأَمْرِ الْأَكْبَرِ، وَقَدْ لَا نَعُودُ وَلَا يَعُودُ مِنَّا أَحَدٌ، وَإِنَّمَا نَحْنُ ذَاهِبُونَ إِلَىٰ اللهِ، رَاجِعُونَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِلَىٰ رَبِّنَا آيِبُونَ.

يَقُولُ: أَيْنَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ؟ فَقَدْ جَدَّ الْجِدُّ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ، وَدَنَتِ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا اللِّقَاءُ.

يُقَالُ لَهُ: إِنَّهُ هُنَالِكَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ رُمْحِهِ، يُشِيرُ إِلَىٰ السَّمَاءِ بِأُصْبَعِهِ يَدْعُو رَبَّهُ.

يَقُولُ: لَأُصْبَعُ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ فِي الْجَيْشِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ بِأَيْدِي مِئَةِ أَلْفِ شَابٍّ طَرِيرٍ.

إِنَّهَا النَّمَاذِجُ الْفَائِقَةُ..

أُمَّةٌ تُرِيدُ الْفَائِقِينَ، تُرِيدُ مَنْ كَانَ فَائِقًا آخِذًا بِمَنْهَجِ الْعِبَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «التَّوَازُنُ بَيْنَ الْعِبَادَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٦ مِنْ شَوَّال ١٤٢٥هـ| ١٩-١١-٢٠٠٤م.

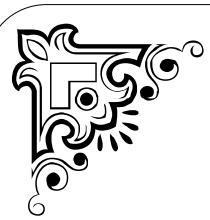

التَّنْمِيَةُ الِاقْتِصَادِيَّةُ

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْمَجَالَاتِ الَّتِي اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ بِتَنْمِيَتِهَا: الْمَجَالَ الِاقْتِصَادِيَّ، إِنَّ الِاقْتِصَادَ الْقَوِيَّ مِنْ أَهَمِّ دَعَائِمِ الدَّوْلَةِ وَرَكَائِزِهَا الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي لَا تَقُومُ وَلَا تُبْنَىٰ إِلَّا بِهَا.

إِنَّ الْأُمَمَ الَّتِي لَا تَمْلِكُ وَلَا تُنْتِجُ قُوتَهَا وَغِذَاءَهَا وَكِسَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَسِلَاحَهَا لَا تَمْلِكُ أَمْرَهَا، وَلَا إِرَادَتَهَا، وَلَا كَلِمَتَهَا، وَلَا عِزَّتَهَا، وَلَا كَرَامَتَهَا؛ فَالتَّنْمِيَةُ الِاقْتِصَادِيَّةُ أَمْرٌ مَحْمُودٌ شَرْعًا.

وَمِنْ مَظَاهِرِ حَثِّ الْإِسْلَامِ عَلَى التَّنْمِيَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ: أَنَّهُ نَظَّمَ الْمُعَامَلَاتِ بَيْنَ الْخَلْقِ تَنْظِيمًا شَدِيدًا، وَأَقَامَهَا عَلَى الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَأَحَلَّ اللهُ لِلنَّاسِ الْبَيْعَ وَالتِّجَارَةَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ**: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ عَلَىٰ أَحْكَامٍ جَمَّةٍ وَفَوَائِدَ مُهِمَّةٍ، مِنْهَا: أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْبُيُوعِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالتِّجَارَاتِ كُلِّهَا الْحِلُّ وَالْإِطْلَاقُ، كَمَا هُوَ صَرِيحُ هَذِهِ الْآيَاتِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ تِجَارَةِ الْإِدَارَةِ الَّتِي يُدِيرُهَا التُّجَّارُ بَيْنَهُمْ، هَذَا يَأْخُذُ الْعِوَضَ، وَهَذَا يُعْطِي الْمُعَوَّضَ، وَلَا بَيْنَ التِّجَارَةِ فِي الدُّيُونِ الْحَالِّ ثَمَنُهَا، الْمُؤَجَّلِ مُثَمَّنُهَا؛ كَالسَّلَمِ، وَبَيْعِ السِّلَعِ بِأَثْمَانٍ مُؤَجَّلَةٍ؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وَلَا بَيْنَ تِجَارَةِ التَّرَبُّصِ وَالِانْتِظَارِ؛ بِأَنْ يَشْتَرِيَ السِّلَعَ فِي أَوْقَاتِ رُخْصِهَا، وَيَنْتَظِرَ بِهَا الْفُرَصَ مِنْ مَوَاسِمَ وَغَيْرِهَا، وَلَا بَيْنَ التِّجَارَةِ بِالتَّصْدِيرِ وَالتَّوْرِيدِ مِنْ مَحَلٍّ إِلَىٰ آخَرَ، وَلَا بَيْنَ التِّجَارَةِ وَالتَّكَسُّبِ أَفْرَادًا وَمُشْتَرِكِينَ؛ فَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَمَا يَتْبَعُهَا قَدْ أَبَاحَهَا الشَّارِعُ وَأَطْلَقَهَا لِعِبَادِهِ؛ رَحْمَةً بِهِمْ، وَقِيَامًا لِمَصَالِحِهِمْ، وَدَفْعًا لِلْأَضْرَارِ عَنْهُمْ، وَكُلُّهَا جَائِزَةٌ بِمَا يَقْتَرِنُ بِهَا وَيَتْبَعُهَا مِنْ شُرُوطٍ وَوَثَائِقَ وَنَحْوِهَا إِذَا سَلِمَتْ مِنَ الْمَحَاذِيرِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَبَّهَ اللهُ عَلَيْهَا وَرَسُولُهُ.

يَدْخُلُ فِي هَذَا الْعُمُومِ جَمِيعُ أَجْنَاسِ الْمَبِيعَاتِ، وَأَنْوَاعِهَا، وَأَفْرَادِهَا؛ مِنْ عَقَارَاتٍ، وَحَيَوَانَاتٍ، وَأَمْتِعَةٍ، وَأَطْعِمَةٍ، وَأَوَانٍ، وَأَشْرِبَةٍ، وَأَكْسِيَةٍ وَفُرُشٍ، وَغَيْرِهَا، وَكُلُّهَا لَا بُدَّ أَنْ تَقْتَرِنَ بِهَذَا الشَّرْطِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ، وَهُوَ التَّرَاضِي بَيْنَ الْمُتَعَاوِضَيْنِ، الرِّضَا الصَّادِرُ عَنْ مَعْرِفَةٍ، وَأَمَّا السَّفِيهُ، وَالْمَجْنُونُ، وَمَنْ لَا يُعْتَبَرُ كَلَامُهُ؛ فَوَلِيُّهُ يَقُومُ مَقَامَهُ فِي مُعَامَلَاتِهِ»[1].

---

(١) «**تيسير اللطيف المنان**» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: (٣/ ١١٨-١١٩).

وَمِنَ الْأُصُولِ -أَيْضًا- الَّتِي أَسَّسَهَا الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ فِي حَيَاةِ النَّاسِ الِاقْتِصَادِيَّةِ: الْوَفَاءُ بِالْعُقُودِ؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ! نَفِّذُوا ارْتِبَاطَاتِكُمُ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا مَعَ رَبِّكُمْ بِسَبَبِ إِيمَانِكُمْ، وَالْعُقُودَ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا مَعَ أَنْفُسِكُمْ بِسَبَبِ حَلِفِكُمْ وَنَذْرِكُمْ عَلَىٰ أَلَّا تَفْعَلُوا فِعْلًا أَوْ تَكُفُّوا عَنْ فِعْلٍ، وَالْعُقُودَ الَّتِي عَقَدَهَا بَعْضُكُمْ مَعَ بَعْضٍ بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ؛ مِن بَيْعٍ، وَإِجَارَةٍ، وَرَهْنٍ، وَشَرِكَةٍ، وَمُضَارَبَةٍ، وَزَوَاجٍ، وَنَحْوِهَا؛ فَالْتَزِمُوا بِهَا، وَبِالْعُقُودِ الَّتِي تَعْقِدُهَا الدَّوْلَةُ الْمُسْلِمَةُ مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ فِي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ.

وَمِنَ الْأُصُولِ الْوَاجِبِ الْتِزَامُهَا فِي الْمُعَامَلَاتِ الِاقْتِصَادِيَّةِ: الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ؛ فَقَدْ رَغَّبَ النَّبِيُّ ﷺ التُّجَّارَ فِي الصِّدْقِ، وَرَهَّبَهُمْ مِنَ الْكَذِبِ، وَمِنَ الْحَلِفِ وَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ**»(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ».

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ(٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَلَفْظُهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

---

(١) «**الجامع**»: (٣/ ٥٠٦، رقم ١٢٠٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٢، رقم ١٧٨٢).

(٢) «**سنن ابن ماجه**»: (٢/ ٧٢٤، رقم ٢١٣٩).

=

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ(١) مِنْ طَرِيقِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا؛ بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا؛ مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**».

وَمِنْ أَعْظَمِ الْأُصُولِ الْوَاجِبِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ الْأَخْذُ بِهَا فِي مُعَامَلَاتِهِمُ الْمَالِيَّةِ: السَّمَاحَةُ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ رَغَّبَ فِي السَّمَاحَةِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَحُسْنِ التَّقَاضِي وَالْقَضَاءِ؛ فَعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا(٢) سَمْحًا(٣) إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَىٰ، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَىٰ(٤)**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٥).

=

وزاد الدارقطني في رواية له (٣/ ٣٨٧، رقم ٢٨١٢): «... مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

والحديث حسن إسناده وصحح متنه لشواهده الألباني في «**الصحيحة**»: (٧/ ١٣٣٦ - ١٣٣٨، رقم ٣٤٥٣).

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٣٠٩، رقم ٢٠٧٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١١٦٤، رقم ١٥٣٢)، من حديث: حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ، وتمام الحديث: «...، **فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**».

(٢) قَوْلُهُ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا**» يَحْتَمِلُ الدُّعَاءَ، وَتَقْدِيرُهُ: اللهم أرحم رَجُلًا يَكُونُ كَذَلِكَ، وَيَحْتَمِلُ الْخَبَرَ عَن حَال رجل كَانَ سَمحا.

(٣) (سمحا)، أي: جوادا متساهلا.

(٤) (إِذَا اقْتَضَىٰ)، أَيْ: طَلَبَ الَّذِي له علىٰ غيره بِسُهُولَةٍ وَعَدَمِ إِلْحَافٍ.

(٥) أخرجه البخاري: (٤/ ٣٠٦، رقم ٢٠٧٦)، وبمثله عند ابن حبان (١١/ ٢٦٧، رقم ٤٩٠٣) وزاد: «...، **سَمْحًا إِذَا قَضَىٰ**»، أَيْ: أَعْطَىٰ الَّذِي عَلَيْهِ بِسُهُولَةٍ بِغَيْرِ مَطْلٍ.

=

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ هَيِّنًا لَيِّنًا قَرِيبًا؛ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**». رَوَاهُ الحَاكِمُ[(١)]، وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ»، وَهُوَ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ اهْتِمَامِ الْإِسْلَامِ بِالتَّنْمِيَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ: بَيَانُ سُبُلِ الارْتِقَاءِ بِهَذِهِ التَّنْمِيَةِ، وَالْحَثُّ عَلَيْهَا، وَمِنْ ذَلِكَ: حَثُّ الْإِسْلَامِ عَلَى الْعَمَلِ، وَالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ فِيهِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

يَعْنِي: فَإِذَا فُرِغَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ؛ فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ لِلتِّجَارَةِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ، وَمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ، وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ، وَاطْلُبُوا رِزْقَ اللهِ بِأَنَاةٍ وَرِفْقٍ مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ؛ رَغْبَةً فِي الْفَوْزِ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

=

وفي رواية للترمذي (٣/ ٦٠١، رقم ١٣٢٠): «**غَفَرَ اللهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ،...**»، وَهَذَا يشعر بأنه قَصَدَ الإخبار عن رَجُل بِعَيْنِهِ، قال الكرماني في «**الكواكب الدراري**»: (٩/ ٢٠٠): «لَكِنَّ قَرِينَةَ الِاسْتِقْبَالِ الْمُسْتَفَادُ مِنْ «إِذَا» تَجْعَلُهُ دُعَاءً».

(١) «**المستدرك**»: (١/ ١٢٦، رقم ٤٣٥)، وأخرجه أيضا هناد في «**الزهد**»: (٢/ ٥٩٦، رقم ١٢٦٢)، والبيهقي في «**الآداب**»: (ص٦٥-٦٦، رقم ١٦٠)، وفي «**شعب الإيمان**»: (١٠/ ٤٤٣، رقم ٧٧٦٩ و٧٧٧٠).

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٢٧، رقم ١٧٤٥)، وروي مرفوعا عن ابن مسعود وأنس ومُعَيْقِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بنحوه.

وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لِلْأُمَّةِ ضَرُورَةَ الْعَمَلِ، عَامِلِينَ بِقَاعِدَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ، هُمَا: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ، وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ؛ فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -فِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ- عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**».

وَمِنْ مَظَاهِرِ اهْتِمَامِ الْإِسْلَامِ بِالتَّنْمِيَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ: حَثُّ الْإِسْلَامِ عَلَى التَّخْطِيطِ الزِّرَاعِيِّ وَالتَّمْوِينِيِّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣-٤٩].

وَقَالَ مَلِكُ مِصْرَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ، وَسَبْعَ بَقَرَاتٍ فِي غَايَةِ الْهُزَالِ، فَابْتَلَعَتِ الْعِجَافُ السِّمَانَ، وَدَخَلْنَ فِي بُطُونِهِنَّ، وَلَمْ يُرَ مِنْهُنَّ شَيْءٌ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ عَلَىٰ الْهَزِيلَاتِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَرَأَيْتُ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ قَدِ انْعَقَدَ حَبُّهَا، وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ أُخَرَ يَابِسَاتٍ قَدِ اسْتُحْصِدَتْ، فَالْتَوَتِ الْيَابِسَاتُ عَلَىٰ الْخُضْرِ حَتَّىٰ عَلَوْنَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ قُدْرَتِهَا شَيْءٌ.

يَا أَيُّهَا السَّادَةُ وَالْكُبَرَاءُ! يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ! أَخْبِرُونِي بِتَأْوِيلِ رُؤْيَايَ الْخَطِيرَةِ، وَعَبِّرُوهَا لِي، وَاذْكُرُوا بُعْدَهَا الْوَاقِعِيَّ فِي هَذَا الْكَوْنِ إِنْ كُنْتُمْ تُحْسِنُونَ عِلْمَ الْعِبَارَةِ وَتَفْسِيرَ رُمُوزِ الْأَحْلَامِ.

قَالَ الْمَلَأُ مِنَ السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ وَالْمُعَبِّرِينَ مُجِيبِينَ الْمَلِكَ: رُؤْيَاكَ هَذِهِ أَخْلَاطٌ مُشْتَبِهَةٌ، وَمَنَامَاتٌ مُتَدَاخِلَةٌ بَاطِلَةٌ، وَمَا نَحْنُ بِتَفْسِيرِ الْمَنَامَاتِ بِعَالِمِينَ.

وَقَالَ السَّاقِي الَّذِي نَجَا مِنَ الْقَتْلِ بَعْدَ هَلَاكِ صَاحِبِهِ الْخَبَّازِ، وَتَذَكَّرَ قَوْلَ يُوسُفَ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]؛ قَالَ: أَنَا أُخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا؛ إِذْ أَسْتَفْتِي فِيهَا السَّجِينَ الْعِبْرَانِيَّ الَّذِي كُنْتُ مُصَاحِبًا لَهُ فِي سِجْنِ رَئِيسِ الشُّرْطَةِ، فَأَرْسِلْنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَىٰ السِّجْنِ؛ فَفِيهِ رَجُلٌ عَالِمٌ يُعَبِّرُ الرُّؤْيَا، فَأَرْسَلَهُ، فَأَتَىٰ السِّجْنَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ: يَا يُوسُفُ! أَيُّهَا الْعَظِيمُ الصِّدْقِ فِي كَلَامِكَ، وَتَأْوِيلِكَ، وَسُلُوكِكَ، وَتَصَرُّفَاتِكَ، وَصُحْبَتِكَ؛ فَسِّرْ لَنَا رُؤْيَا مَا رَأَىٰ: سَبْعُ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ بَقَرَاتٍ هَزِيلَاتٍ، وَرَأَىٰ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ رَأَىٰ هَذِهِ الرُّؤْيَا؛ لَعَلِّي أَرْجِعُ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَىٰ الْمَلِكِ وَجَمَاعَتِهِ لِيَعْلَمُوا تَأْوِيلَ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ، وَلِيَعْلَمُوا مَكَانَتَكَ وَفَضْلَكَ.

لَمْ يَشْتَرِطْ شَيْئًا، وَإِنَّمَا مَضَىٰ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ لَوْ كَانَ سِوَاهُ لَقَالَ: لَا أُعَبِّرُ لَكُمُ الرُّؤْيَا حَتَّىٰ أَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْحَبْسِ، أَوْ حَتَّىٰ يُرَدَّ إِلَيَّ حَقِّي، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَفَادَهُمْ، وَأَرَادَ نَفْعَهُمْ.

قَالَ يُوسُفُ مُعَبِّرًا لِتِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي تُشِيرُ إِلَىٰ الْوَضْعِ الزِّرَاعِيِّ وَالِاقْتِصَادِيِّ وَالْمَالِيِّ خِلَالَ الْخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً الْقَادِمَةِ بِمَا فِيهَا مِنْ رَخَاءٍ، ثُمَّ قَحْطٍ، ثُمَّ غَوْثٍ: ازْرَعُوا سَبْعَ سِنِينَ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ عَلَىٰ عَادَتِكُمُ الْمُسْتَمِرَّةِ فِي الزِّرَاعَةِ، فَمَا حَصَدْتُمْ مِنَ الْحِنْطَةِ فَاتْرُكُوهُ فِي سُنْبُلِهِ؛ لِئَلَّا يَفْسُدَ، وَيَقَعَ فِيهِ السُّوسُ، وَاحْفَظُوا أَكْثَرَهُ لِوَقْتِ الْحَاجَةِ؛ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَهُ مِنَ الْحُبُوبِ.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ الدَّأَبِ فِي الزِّرَاعَةِ -زِرَاعَةِ الْأَقْوَاتِ وَادِّخَارِهَا- طُوَالَ السِّنِينَ السَّبْعِ الْمُخْصِبَةِ.. يَأْتِي سَبْعُ سِنِينَ مُجْدِبَةٌ، تَكُونُ مُمْحِلَةً شَدِيدَةً عَلَىٰ النَّاسِ، يَأْكُلُ النَّاسُ وَتَأْكُلُ مَوَاشِيهِمْ فِيهَا مَا زَرَعْتُمْ وَادَّخَرْتُمْ لَهُنَّ مِنَ الطَّعَامِ فِي سَنَوَاتِ الْخِصْبِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْفَظُونَهُ وَتَدَّخِرُونَهُ؛ احْتِيَاطًا لِلطَّوَارِئِ الْمُلْجِئَةِ الَّتِي قَدْ يُسْمَحُ فِيهَا بِالْأَخْذِ مِنَ الِاحْتِيَاطِيِّ بِمَقَادِيرِ الضَّرُورَةِ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾، لَيْسَ فِي الرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا الْمَلِكُ أَدْنَىٰ إِشَارَةٍ إِلَىٰ عَامِ الْغَوْثِ هَذَا، فَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَّمَهُ اللهُ إِيَّاهُ، فِيهَا سَبْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ -كَمَا أَوَّلَ- يَكُونُ فِيهَا الْخِصْبُ، ثُمَّ سَبْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ يَكُونُ فِيهَا الْجَدْبُ، وَلَيْسَ فِي الرُّؤْيَا أَدْنَىٰ إِشَارَةٍ إِلَىٰ عَامِ الْغَوْثِ هَذَا.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ هَذِهِ السِّنِينَ الْمُجْدِبَةِ عَامٌ تَرْجِعُ فِيهِ تَصَارِيفُ الْكَوْنِ إِلَىٰ مِثْلِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَفِيهِ تَنْزِلُ الْأَمْطَارُ النَّافِعَةُ الَّتِي يُنْبِتُ اللهُ بِهَا الزُّرُوعَ، وَفِيهَا يَعْصِرُونَ مَا شَأْنُهُ أَنْ يُعْصَرَ مِنْ نَحْوِ الْعِنَبِ، وَالزَّيْتُونِ، وَالْقَصَبِ، وَتَكْثُرُ النِّعَمُ عَلَىٰ النَّاسِ.

لَمْ يَكْتَفِ يُوسُفُ عليه السلام بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَلْ بَادَرَ فَوَضَعَ لَهُمْ خُطَّةَ عَمَلٍ لِمُوَاجَهَةِ سَنَوَاتِ الْقَحْطِ وَالْجَفَافِ، وَهِيَ خُطَّةٌ اقْتِصَادِيَّةٌ تَتَنَاوَلُ الْحَيَاةَ الزِّرَاعِيَّةَ وَالتَّمْوِينِيَّةَ لِلْأُمَّةِ خِلَالَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً تَأْتِي عَلَىٰ اسْتِقْلَالٍ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»(١). وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

وَ«**فَسِيلَةٌ**»: هِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ.

هَذَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَىٰ غَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ؛ لِتَبْقَىٰ هَذِهِ الدَّارُ عَامِرَةً إِلَىٰ آخِرِ أَمَدِهَا الْمَحْدُودِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ خَالِقِهَا، فَكَمَا غَرَسَ لَكَ غَيْرُكَ فَانْتَفَعْتَ بِهِ فَاغْرِسْ أَنْتَ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَكَ لِيَنْتَفِعَ بِهِ؛ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا صُبَابَةٌ، وَذَلِكَ بِهَذَا الْقَصْدِ لَا يُنَافِي الزُّهْدَ وَالتَّقَلُّلَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ أَحَادِيثَ فِي اسْتِثْمَارِ الْأَرْضِ وَزَرْعِهَا، وَالْحَثِّ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَا أَدَلَّ عَلَىٰ الْحَضِّ عَلَىٰ الِاسْتِثْمَارِ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (٢١٨١)، وَأَحْمَدُ (١٢٩٠٢) (١٢٩٨١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١٢١٦)، وَالْبَزَّارُ (٧٤٠٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «الْحَثِّ عَلَىٰ التِّجَارَةِ» (٧٤)، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «الْمُعْجَمِ» (١٧٩)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٦/ ٧٥) (١٢٠٨)، مِنْ طَرِيقِ: هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.
وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩).

فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا؛ فَإِنَّ فِيهِ تَرْغِيبًا عَظِيمًا عَلَىٰ اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيُجْرَىٰ لَهُ أَجْرُهُ، وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ: «**فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»، وَهَذَا -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- يَتَطَلَّبُ زَمَانًا مَمْدُودًا؛ لِكَيْ يَتَحَصَّلَ الْمَرْءُ عَلَىٰ نَتِيجَتِهِ وعَائِدِهِ؛ لِأَنَّ النَّخْلَةَ يَسْتَمِرُّ نُمُوُّهَا حَتَّىٰ إِثْمَارِهَا سَنَوَاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**».

مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا يَقِينًا حِينَئِذٍ، وَلَكِنَّهُ ﷺ يَحُثُّ عَلَىٰ غَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ، وَعَلَىٰ الْعَمَلِ الصَّالِحِ النَّافِعِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ؛ وَإِنْ ظَهَرَتْ نَتَائِجُهُ وَعَوَاقِبُهُ عَلَىٰ الْمَدَىٰ الْبَعِيدِ، وَكَانَتْ نَتَائِجُهُ وَثِمَارُهُ بَطِيئَةً جِدًّا.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: التَّرْغِيبُ الْعَظِيمُ فِي اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيُجْرَىٰ لَهُ أَجْرُهُ، وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الطَّاعَةِ إِلَىٰ آخِرِ لَحْظَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ.(*).

وَمِنْ مَظَاهِرِ اهْتِمَامِ الْإِسْلَامِ بِالتَّنْمِيَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ: تَشْجِيعُ الْإِسْلَامِ عَلَى الصِّنَاعَةِ، وَالْإِتْقَانِ فِيهَا؛ فَالْمُتَأَمِّلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أَنَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِهِ يَدْعُو إِلَىٰ إِتْقَانِ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الْمَشْرُوعَةِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَتَقَدَّمْ أُمَّةٌ إِلَّا بِتَفَانِيهَا فِي صِنَاعَاتِهَا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «الْبِنَاءُ الِاقْتِصَادِيُّ السَّدِيدُ وَأَثَرُهُ فِي اسْتِقْرَارِ الْمُجْتَمَعِ».

وَحِرَفِهَا وَمِهَنِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَىٰ صِنَاعَةِ الْحَدِيدِ؛ **حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-:** ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

«﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ؛ كَالسِّلَاحِ، وَالدُّرُوعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ وَهُوَ مَا يُشَاهَدُ مِنْ نَفْعِهِ فِي أَنْوَاعِ الصِّنَاعَاتِ وَالْحِرَفِ، وَالْأَوَانِي وَآلَاتِ الْحَرْثِ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ قَلَّ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الْحَدِيدِ»(١).

كَمَا أَشَارَ الْقُرْآنُ إِلَىٰ صِنَاعَةِ الْمَلَابِسِ، وَالْأَثَاثِ، وَالْجُلُودِ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨٠-٨١].

كَمَا أَنَّ هَذِهِ الصِّنَاعَاتِ وَالْحِرَفَ مِهْنَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ فَقَدْ كَانُوا فِيهَا خَيْرَ أُنْمُوذَجٍ لِلْإِجَادَةِ وَالْإِتْقَانِ، وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ فِي الْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي عَدَدٍ مِنَ الْحِرَفِ وَالصِّنَاعَاتِ الْيَدَوِيَّةِ؛ فَقَدْ قَالَ -تَعَالَىٰ- لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٨٤٢).

وَاصْنَعِ السَّفِينَةَ بِمَرْأَىٰ مِنَّا مَحْفُوظًا بِكَلَاءَتِنَا وَعِنَايَتِنَا، وَبِوَحْيِنَا فِي خُطَّةِ الْعَمَلِ، وَبِنَاءِ السَّفِينَةِ، وَطَرِيقَةِ التَّنْفِيذِ.

وَثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ -كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ نَبِيَّ اللهِ زَكَرِيَّا كَانَ نَجَّارًا**»(١).

وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ دَاوُدَ عليه السلام: ﴿**وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [سبأ: ١٠-١١].

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فَكَانَ فِي يَدِهِ كَالْعَجِينِ، يَعْمَلُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا ضَرْبِ مِطْرَقَةٍ.

وَأَمَرْنَاهُ أَنِ اعْمَلْ يَا دَاوُدُ دُرُوعًا وَاسِعَاتٍ سَاتِرَاتٍ!

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّهُ لَا يَكْفِي الْفَرْدَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْعَمَلَ صَحِيحًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ صِحَّتِهِ مُتْقَنًا؛ فَهَل يَعِي ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَيَسْعَوْنَ إِلَىٰ جَعْلِهِ مِيزَةً لِشَخْصِيَّاتِهِمْ، وَخُلُقًا يَتَّصِفُونَ بِهِ فِي حَيَاتِهِمْ، وَمَبْدَأً يَنْطَلِقُونَ مِنْهُ فِي مُؤَسَّسَاتِ الْعِلْمِ وَمَيَادِينِ الْعَمَلِ وَأَسْوَاقِ الصِّنَاعَةِ؛ لِيَصِلُوا بِهِ إِلَىٰ الْإِنْجَازِ، وَيُحَقِّقُوا بِسَبَبِهِ النَّجَاحَ؟!!(٢)

إِنَّ إِتْقَانَ الْعَمَلِ وَالتَّمَيُّزَ فِيهِ وَالْقِيَامَ بِهِ عَلَىٰ أَكْمَلِ وَجْهٍ مِنْ أَهَمِّ الْقِيَمِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ، وَحَثَّ عَلَيْهَا، وَرَغَّبَ فِيهَا، وَلَا أَدَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَنَّ اللهَ

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٨٤٧، رقم ٢٣٧٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) **باختصار من**: «**إتقان العمل**».

-تَعَالَىٰ- خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ بِإِتْقَانٍ وَإِبْدَاعٍ؛ لِيَسِيرَ النَّاسُ عَلَىٰ هَذَا النَّهْجِ الْإِلَهِيِّ فِي أَعْمَالِهِمْ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ [النمل: ٨٨].

وَتَرَىٰ الْجِبَالَ -أَيُّهَا الرَّائِي- تَظُنُّهَا مُتَمَاسِكَةً لَا حَرَكَةَ لِذَرَّاتِهَا، وَلَا سَيْرَ لَهَا فِي جُمْلَتِهَا، وَهِيَ فِي وَاقِعِ حَالِهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ الَّذِي تَتَحَرَّكُ ذَرَّاتُهُ تَحَرُّكًا دَاخِلِيًّا، وَيَسِيرُ فِي جُمْلَتِهِ مِنْ مَوْقِعٍ إِلَىٰ مَوْقِعٍ فِي السَّمَاءِ، وَكَذَلِكَ حَالُ الْجِبَالِ وَسَائِرِ مَا فِي الْأَرْضِ؛ إِذْ ذَرَّاتُ كُلِّ شَيْءٍ تَتَحَرَّكُ حَرَكَاتٍ فِي دَوَائِرَ وَأَقْفَالٍ مُقْفَلَةٍ.

وَجُمْلَةُ الْأَرْضِ مَعَ جِبَالِهَا تَمُرُّ سَائِرَةً فِي دَوْرَةٍ يَوْمِيَّةٍ حَوْلَ نَفْسِهَا، وَفِي دَوْرَةٍ سَنَوِيَّةٍ حَوْلَ الشَّمْسِ.

صَنَعَ اللهُ ذَلِكَ صُنْعَ الَّذِي أَحْكَمَ صُنْعَهُ، وَجَعَلَهُ مُطَابِقًا لِلْمَقْصُودِ مِنْهُ.

وَدِينُنَا الْحَنِيفُ لَا يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ مُجَرَّدَ الْعَمَلِ، إِنَّمَا يَطْلُبُ إِتْقَانَهُ وَإِحْسَانَهُ، يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥) من حديث: شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه.

إِنَّ دِينَنَا دِينُ الْإِتْقَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَقَدْ عُنِيَ عِنَايَةً بَالِغَةً بِذَلِكَ؛ سَوَاءٌ فِي مَجَالِ الصِّنَاعَةِ، أَمْ فِي مَجَالِ الْحِرَفِ وَالْمِهَنِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْأُمَمَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَنْهَضَ أَوْ تَتَقَدَّمَ بِلَا إِتْقَانٍ، وَدَوْرُنَا أَنْ نَجْعَلَ الْإِتْقَانَ ثَقَافَةَ الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ؛ بِحَيْثُ يَصِيرُ الْإِتْقَانُ هُوَ الْأَصْلَ فِي حَيَاتِنَا، وَمَا عَدَاهُ هُوَ الشَّاذُّ الَّذِي لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ، وَلَا يُمْكِنُ الْقَبُولُ بِهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ وَالْمِهَنِ سَبِيلُ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ».

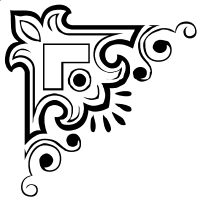

التَّنْمِيَةُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ

إِنَّ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ إِذَا الْتَزَمَ بِمَنْهَجِ الْإِسْلَامِ عَقِيدَةً، وَعِبَادَةً، وَخُلُقًا وَسُلُوكًا وَفْقًا لِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَاقْتِدَاءً بِالصُّورَةِ الَّتِي طُبِّقَ بِهَا الْإِسْلَامُ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَإِنَّهُ يَجِدُ التَّكَامُلَ الاِجْتِمَاعِيَّ وَاقِعًا فِي الْمُجْتَمَعِ؛ بِحَيْثُ تَتَحَقَّقُ فِيهِ جَمِيعُ مَضَامِينِهِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدِ اهْتَمَّ بِبِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُتَكَامِلِ، وَحَشَدَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ جُمْلَةً مِنَ النُّصُوصِ وَالْأَحْكَامِ؛ لِإِخْرَاجِ الصُّورَةِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ الْمُجْتَمَعَ بِقَوْلِهِ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٠١١)، ومسلم (رقم ٢٥٨٦)، من حديث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، بلفظ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»، وفي رواية للبخاري: «تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ،... » الحديث، وفي رواية لمسلم: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»، وفي رواية له أيضا: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَىٰ عَيْنُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ».

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(١).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبُنْيَانَ وَأَنَّ الْجَسَدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ مُتَمَاسِكٌ، لَيْسَ فِيهِ تَفَرُّقٌ؛ لِأَنَّ الْبُنْيَانَ إِذَا تَفَرَّقَ سَقَطَ، كَذَلِكَ الْجِسْمُ، إِذَا تَفَرَّقَ فَقَدَ الْحَيَاةَ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الِاجْتِمَاعِ، وَأَنْ نَكُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً أَسَاسُهَا التَّوْحِيدُ، وَمَنْهَجُهَا دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسَارُهَا عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.(*).

إِنَّ التَّنْمِيَةَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ تَبْدَأُ بِالتَّرَابُطِ الْأُسَرِيِّ؛ فَقَدْ أَكَّدَ الْإِسْلَامُ عَلَى قُوَّةِ الْعَلَاقَاتِ الْأُسَرِيَّةِ، فَبَنَى الْإِسْلَامُ الْأُسْرَةَ عَلَى الْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ -وَهُوَ الزَّوَاجُ- الَّذِي يَحْفَظُ الْأُسْرَةَ مِنَ التَّفَكُّكِ وَالِانْهِيَارِ، فَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ عَهْدًا شَدِيدًا مُؤَكَّدًا، وَهِيَ كَلِمَةُ النِّكَاحِ الَّتِي تُسْتَحَلُّ بِهَا فُرُوجُ النِّسَاءِ.(*/٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١، و٢٤٤٦، و٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥)، من حديث: أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! لَا عُذْرَ لَكُمْ!!» - ٢٩ مِنْ صَفَر ١٤٣٧هـ - ١١-١٢-٢٠١٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [النساء: ٢٠-٢١].

إِنَّ الشَّرْعَ الْأَغَرَّ قَدْ حَدَّدَ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَخِيهِ، وَحَدَّدَ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَمُجْتَمَعِهِ، فَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْإِنْسَانُ دِينَ رَبِّهِ؛ فَإِنَّهُ -حِينَئِذٍ- لَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤَدِّيَ حَقَّهُ عَلَيْهِ، وَلا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَ وَاجِبَهُ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ جَاهِلًا مُتَخَبِّطًا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ رَاعَىٰ حُقُوقَ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ-.(*).

الْإِسْلَامُ رَاعَى حُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، وَالزَّوْجَةِ، وَالْوَلَدِ، وَالْأَرْحَامِ وَالْأَقَارِبِ، وَالْجِيرَانِ، وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، الْحُقُوقَ الَّتِي لَوِ اجْتَهَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَدَائِهَا وَالْوَفَاءِ بِهَا؛ أَثْمَرَ ذَلِكَ مُجْتَمَعًا قَوِيًّا مُتَرَابِطًا مُتَمَاسِكًا.

رَاعَى حُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، فَجَعَلَ حَقَّ الْأَبَوَيْنِ يَلِي حَقَّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحَقَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفَرْضِيَّةِ وَالْوُجُوبِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مَظْلُومِيَّةُ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ| ١٧-١-٢٠١٤م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ»- الْجُمُعَةُ ٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ| ٢٢-١-٢٠١٠م.

وَرَاعَى الْإِسْلَامُ حَقَّ الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، إِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، إِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، إِنَّ لِزَوْرِكَ** -أَيْ: لِضِيفَانِكَ وَزَائِرِيكَ- **عَلَيْكَ حَقًّا؛ فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**»(١). (*).

وَعَنِ الْمِقْدَامِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ وَزَوْجَتَكَ وَخَادِمَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ**»(٣). (*/٢).

وَأَوْلَى الْإِسْلَامُ رِعَايَةً تَامَّةً كَامِلَةً بِالْأَرْحَامِ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ**﴾ [النساء: ١].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ! احْذَرُوا أَمْرَ رَبِّكُمْ أَنْ تُخَالِفُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، الَّذِي خَلَقَ السُّلَالَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ كُلَّهَا مُشْتَقَّةً مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ عليه السلام، وَخَلَقَ مِنْ آدَمَ زَوْجَهُ حَوَّاءَ، وَنَشَرَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ وَحَوَّاءَ بِالتَّلَازُمِ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً كَثِيرَاتٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٥، و١٩٧٧، و٦١٣٤)، ومسلم (١١٥٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «عَقَائِدُ الْكُفْرِ تَغْزُو الشَّبَابَ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٥ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٣٠ هـ| ٢٩- ٥- ٢٠٠٩م.

(٣) أَخْرَجَهُ ابن ماجه (٢١٣٨)، وأحمد (١٧١٧٩، و١٧١٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٢، و١٩٥)، وصحح إسناده الألباني في «الصحيحة» (٤٥٢).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابُ: نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَخَادِمِهِ صَدَقَةٌ (ص٩١٨ -٩٢١).

وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي يَسْأَلُهُ بِهِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا فَلَا تَصِلُوهَا.(*).

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَيُرَغِّبُ فِيهَا، وَيُخْبِرُ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَتُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ؛ فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرِهِ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: «**تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»(٢). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

«**تَصِلُ الرَّحِمَ**» أَيْ: تُحْسِنُ إِلَىٰ أَقَارِبِكَ، وَتُوَاسِي ذَوِي الْقَرَابَةِ فِي الْخَيْرَاتِ(*/٢).

بِصِلَةِ الرَّحِمِ تَصْلُحُ الْمُجْتَمَعَاتُ، وَيَحْصُلُ التَّآلُفُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ فِي النَّسَبِ، وَكَذَلِكَ الْأَقَارِبُ بِالْجِوَارِ، وَالْأَصْحَابُ؛ فَالْمُجْتَمَعُ لَا يَكُونُ سَعِيدًا إِلَّا إِذَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِهِ التَّوَاصُلُ، وَالتَّوَادُّ، وَالتَّرَاحُمُ، وَالْمَحَبَّةُ الشَّرْعِيَّةُ.

وَأَمَّا الْقَطِيعَةُ؛ فَكُلُّهَا شَرٌّ، وَالِانْتِقَامُ لِلنَّفْسِ كَذَلِكَ يَجُرُّ إِلَىٰ شَرٍّ كَبِيرٍ، وَالصَّبْرُ وَالتَّرَاضِي ثَمَرَاتُهُ طَيِّبَةٌ، وَعَوَاقِبُهُ حَمِيدَةٌ.

وَقَدْ قِيلَ: اصْبِرْ وَصَابِرْ تُدْرِكِ الْمَكَارِمَ.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النساء: ١].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٩٦) (٥٩٨٢) (٥٩٨٣)، وَمُسْلِمٌ (١٣)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٦٨)، مِنْ طَرِيقِ: مُوسَىٰ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، بِهِ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «الْأَدَبِ الْمُفْرِدِ» (بَابٌ: صِلَةُ الرَّحِمِ).

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «الْأَدَبُ الْمُفْرِدِ» (ص: ٣٧٠-٣٧١).

وَرَاعَى دِينُنَا حَقَّ الْجِيرَانِ؛ فَالْجَارُ لَهُ حَقٌّ بِإِطْلَاقٍ؛ سَوَاءٌ كَانَ مُسْلِمًا أَمْ كَانَ كَافِرًا، سَوَاءٌ كَانَ طَائِعًا أَمْ كَانَ عَاصِيًا، سَوَاءٌ كَانَ عَالِمًا أَمْ كَانَ جَاهِلًا، سَوَاءٌ كَانَ مُصَالِحًا أَمْ كَانَ مُخَاصِمًا.

الْجَارُ -مُطْلَقُ الْجَارِ- لَهُ حَقٌّ؛ لِأَنَّ النُّصُوصَ وَرَدَتْ مُطْلَقَةً مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ، وَهَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ يَقُولُ قَوْلًا مُرْسَلًا عَامًّا مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(١).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»-: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ الْأَصْحَابُ رضي الله عنهم: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**».

قَالُوا رضي الله عنهم: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**شَرُّهُ**»(٢).(*).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، من حديث: أَبِي شُرَيْحٍ رضي الله عنه، وذكره البخاري -أيضًا- معلقًا مجزومًا به عقيب حديث أبي شريح (الأدب، ٢٩ تعليقًا)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وأخرجه موصولًا أحمد في «المسند» (٧٨٧٨)، واللفظ له، وأخرجه مسلم (٤٦)، من طريق آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْجَارِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١١-٦-٢٠٠٤م.

وَرَاعَى الْإِسْلَامُ حُقُوقَ إِخْوَانِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»(١).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(٢).

وَحُقُوقُ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ كَثِيرَةٌ؛ وَلَكِنْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَىٰ الْجَامِعُ لِهَذِهِ الْحُقُوقِ كُلِّهَا قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ**»؛ فَإِنَّهُ مَتَىٰ قَامَ بِمُقْتَضَىٰ هَذِهِ الْأُخُوَّةِ؛ اجْتَهَدَ أَنْ يَتَحَرَّىٰ لَهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَأَنْ يَجْتَنِبَ كُلَّ مَا يَضُرُّهُ.(*).

---

(١) «صحيح مسلم» (٢١٦٢)، من طريق: الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌّ**،...» الحديث، وأصله في «الصحيحين»؛ أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم أيضًا (٢١٦٢)، من طريق: ابْنِ شِهَابٍ الزهري، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ خَمْسٌ**:...» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٣، و٦٧٢٤)، ومسلم (٢٥٦٤) واللفظ له، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «عَقَبَاتٌ فِي طَرِيقِ الدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٨هـ|٢٠-١-٢٠١٧م.

وَمِنْ مَظَاهِرِ اهْتِمَامِ الْإِسْلَامِ بِالتَّنْمِيَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ: حَثُّهُ عَلَى السَّعْيِ فِي تَحْقِيقِ التَّكَافُلِ الْمُجْتَمَعِيِّ؛ فَإِنَّ دِينَنَا الْعَظِيمَ حَرِيصٌ عَلَى تَحْقِيقِ التَّكَافُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ، حَاضٌّ عَلَى أَلَّا يَكُونَ بَيْنَنَا جَائِعٌ، وَلَا مَحْرُومٌ، وَلَا عَارٍ، وَلَا مُشَرَّدٌ، وَلَا مُحْتَاجٌ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْإِحْسَانِ فِي عَلَاقَةِ الْمُسْلِمِ بِأُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أَيْ: وَبِذِي الْقُرْبَىٰ إِحْسَانًا، أَحْسِنُوا إِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ، وَإِلَىٰ ذِي الْقُرْبَىٰ، ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ [النساء: ٣٦].

فَأَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْإِحْسَانِ؛ إِحْسَانِ الْمَرْءِ فِي أُسْرَتِهِ، وَإِحْسَانِ الْمَرْءِ فِي مُجْتَمَعِهِ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَأَعْطَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ شِدَّةِ حُبِّهِ لَهُ الْفُقَرَاءَ مِنْ أَهْلِ قَرَابَتِهِ، وَالْيَتَامَىٰ الَّذِينَ تُوُفِّيَ آبَاؤُهُمْ وَلَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ، وَالْمَسَاكِينَ الَّذِينَ يَدُلُّ ظَاهِرُهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُمْ ذَوُو حَاجَةٍ، وَالْمُسَافِرَ الْمُنْقَطِعَ عَنْ أَهْلِهِ، وَالطَّالِبِينَ الْمُسْتَطْعِمِينَ، وَأَعْطَىٰ الْمَالَ فِي مُعَاوَنَةِ الْمُكَاتَبِينَ حَتَّىٰ يَفُكُّوا رِقَابَهُمْ، أَوْ فِي فَكِّ الْأَسْرَىٰ مِنْ أَيْدِي الْعَدُوِّ بِفِدَائِهِمْ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْحَابُ التِّجَارِبِ الْفَاشِلَةِ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ| ٣٠-٩-٢٠١١م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [البقرة: ١٧٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ**»، ذَكَرَ مِنْهُمْ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ**»(١). (*).

وَمِنْ مَظَاهِرِ حِرْصِ الْإِسْلَامِ عَلَى التَّنْمِيَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ: حَثُّ الْإِسْلَامِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُبِّ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ، وَالِاجْتِهَادِ لِنَفْعِهِمْ، جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟

فَقَالَ ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ؛ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا**»(٣).

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٦٠) ومواضع، و«صحيح مسلم» (١٠٣١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ مَنْظُومَةِ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» - رُكْنُ الزَّكَاةِ.

(٣) زاده رزين علىٰ الأصول الستة كما في «**جامع الأصول**» لابن الأثير: ٦/ ٥٦١، رقم (٤٧٩٢).

وأخرج نحوه: ابن أبي الدنيا في «**اصطناع المعروف**» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ١/ ٢٨١، رقم (١١٢)، من حديث: بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وأخرجه الدينوري في «**المجالسة**»: ٨/ ٢٧٧-٢٧٨، رقم (٣٥٤٣)، من حديث: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

=

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ**(١)، **مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

=

وأخرجه ابن حبان في «**المجروحين**»: ١/ ٣٦٠/ ترجمة سُكَيْن بْن أَبِي سراج، والطبري في معاجمه الثلاثة في «**الكبير**»: ١٢/ ٤٥٣ رقم (١٣٦٤٦)، وفي «**الأوسط**»: ٦/ ١٣٩ - ١٤٠، رقم (٦٠٢٦)، وفي «**الصغير**»: ٢/ ١٠٦ رقم (٨٦١)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: ٦/ ٣٤٨، ترجمة (٣٨٦)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّىٰ يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ**».

وفي لفظ: «...، **وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَتِهِ كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ مَظْلُومٍ يُعِينُهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ**،...».

والحديث حسنه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: ٢/ ٥٧٤، رقم (٩٠٦)، وروي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، نحوه.

(١) قَوله: «لَا يُسلمهُ»، أَي: لَا يتْركهُ مَعَ مَا يُؤْذِيه، بل ينصره وَيدْفَع عَنهُ، قاله ابن الجوزي في «**كشف المشكل**»: ٢/ ٤٨٤.

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ كُرْبَةِ الدُّنْيَا وَكُرْبَةِ الْآخِرَةِ، فَهَذَا عَطَاءٌ مِنْ صَاحِبِ الْعَطَاءِ وَالْفَضْلِ: «**فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ(١). (*).

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٥/ ٩٧، رقم (٢٤٤٢)، وفي: ١٢/ ٣٢٣، رقم (٦٩٥١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٩٩٦، رقم (٢٥٨٠).

والحديث -أيضًا- في «**صحيح مسلم**»: ٤/ ١٩٨٦، رقم (٢٥٦٤)، من رواية: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا** -وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ دَرْسِ: «السَّعْيُ فِي قَضَاءِ حَاجَةِ الْآخِرِينَ».

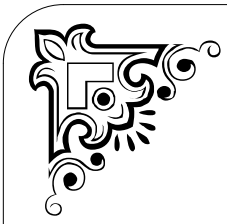

التَّنْمِيَةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ

إِنَّ الِاهْتِمَامَ بِتَنْمِيَةِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ فِي الْمُجْتَمَعِ يُعَدُّ عَامِلًا أَسَاسِيًّا وَهَامًّا لِبِنَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْقَوِيَّةِ؛ فَالْأَخْلَاقُ هِيَ أَسَاسُ بِنَاءِ الْأُمَمِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَقَدِ اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ بِتَرْسِيخِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحَرِصَ عَلَى تَنْمِيَتِهَا، وَلَيْسَ أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ شَيْءٍ يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «**تَقْوَىٰ اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ عَلَىٰ الْقِمَّةِ الْعَالِيَةِ وَعَلَىٰ ذِرْوَةِ السَّنَامِ، وَمَدَحَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِذَلِكَ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ، فَقَالَ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي حَقِّ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].. ﷺ.(*).

إِنَّ كِتَابَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ الْأَمْرُ بِالتَّقْوَىٰ، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الرَّذَائِلِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الْفَضَائِلِ، وَفِيهِ التَّخْوِيفُ بِالنَّارِ، وَالتَّرْغِيبُ فِي الْجَنَّةِ، وَفِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب البر: باب ما جاء في حسن الخلق، (٢٠٠٤)، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد: باب ذكر الذنوب، (٤٢٤٦).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٢/ ٦٦٩، رقم ٩٧٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - الْجُمُعَةُ: ٣-١١-١٩٩٥م.

وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ، فَهَذَا عَطَاءُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ أَوْ تَلَاهُ.(*).

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْقَرِيبَ مِنْكُمُ الَّذِي يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ لَهُ وَظَائِفُ كُبْرَىٰ، مِنْهَا: أَنَّهُ يَدُلُّ وَيُرْشِدُ إِلَىٰ الطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَىٰ الِاعْتِدَالِ الْكَامِلِ فِي كُلِّ سُلُوكٍ بَشَرِيٍّ، وَيُبَشِّرُ الْقُرْآنُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ بِأَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا يَنَالُونَهُ فِي الْجَنَّةِ.(*/٢).

وَقَدْ أَوْلَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلُ، النَّبِيُّ ﷺ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ عَلَمًا عَلَىٰ الْأَخْلَاقِ، وَكَمَالِ الْقِيَمِ، وَشِيَمِ التَّصَوُّرِ الصَّحِيحِ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيدُهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ، يَحْمِلُونَ الْهِدَايَةَ وَالسَّعَادَةَ وَالنُّورَ، وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ؟» (الْمُحَاضَرَةُ الْعَاشِرَةُ)، الْأَرْبِعَاءُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ| ١٤-٦-٢٠١٧م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الإسراء: ٩].

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَة: «أَخْلَاقُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ» - الْجُمُعَةُ ٢٩-٨-٢٠٠٣م.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ** -الزَّعِيمُ هَاهُنَا: الضَّامِنُ- **بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ**(٣) -رَبَضُ الْجَنَّةِ: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا، تَشْبِيهًا بِالْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَتَحْتَ الْقِلَاعِ- **لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ** -أَيِ: الْجَدَلَ- **وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ**

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٤/ ٣٥٥، رقم ١٩٨٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ١٢، رقم ٢٦٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب السنة: بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، (٤٦٨٢)، والترمذي في «الجامع»: أبواب الرضاع: بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ زَوْجِهَا، (١١٦٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه لغيره الألباني في «الصحيحة»: (١/ ٥٧٣، رقم ٢٨٤).

(٣) «في ربض الجنة» ، أي: حوالي الجنة وأطرافها لا في وسطها.

مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ»(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.(*).

إِنَّ التَّحَلِّيَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ صِمَامُ أَمَانِ الْمُجْتَمَعَاتِ مِنَ الِانْحِلَالِ وَالْفَوْضَى وَالضَّيَاعِ، وَبِزَوَالِهَا تَسْقُطُ الْأُمَمُ؛ فَكَمْ مِنْ حَضَارَاتٍ انْهَارَتْ بِتَرَدِّي أَخْلَاقِهَا؟! وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَمَاذِجَ لِأُمَمٍ هَلَكَتْ بِسَبَبِ بُعْدِهَا عَنِ الْأَخْلَاقِ؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الذاريات: ٤٦].

وَكَذَلِكَ مَا فَعَلَ اللهُ بِقَوْمِ نُوحٍ حِينَ كَذَّبُوا نُوحًا عليه السلام، وَفَسَقُوا عَنْ أَمْرِ اللهِ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِالْمَاءِ الْمُنْهَمِرِ، فَأَغْرَقَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ [عَنْ آخِرِهِمْ]، وَلَمْ يُبْقِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، وَهَذِهِ عَادَةُ اللهِ وَسُنَّتُهُ فِيمَنْ عَصَاهُ(٣).

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: بَابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، (٤٨٠٠)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه.

والحديث حسنه بشواهده الألباني في «الصحيحة»: (١/ ٥٥٢ - ٥٥٦، رقم ٢٧٣)، وروي عن أنس وفضالة بن عبيد رضي الله عنهما، مرفوعا، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

(٣) «تفسير السعدي» (ص٨١١).

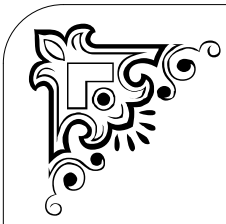

التَّنْمِيَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْمَجَالَاتِ الَّتِي اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ بِتَنْمِيَتِهَا: الْمَجَالَ الْعَسْكَرِيَّ؛ حِفَاظًا عَلَى دِينِ الْأُمَّةِ وَعَقِيدَتِهَا، وَصِيَانَةً لِبَيْضَتِهَا وَثَرْوَتِهَا، «وَمِنْ مُنْطَلَقِ اهْتِمَامِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْمَجَالِ الْعَسْكَرِيِّ، وَمَا يَخْدُمُ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي ثَبَاتِهَا وَإِقَامَتِهَا، وَمَا يُسَاعِدُ الدَّوْلَةَ فِي صَدِّ الِاعْتِدَاءِ وَالْعُدْوَانِ عَلَيْهَا، فَتَكُونُ مُدَافِعَةً عَنْ دِينِهَا وَذَاتِهَا وَكَيَانِهَا؛ فَقَدْ أَوْلَى الْإِسْلَامُ عِنَايَةً فَائِقَةً وَاهْتِمَامًا بَالِغًا بِإِنْشَاءِ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَتَنْمِيَتِهَا؛ لِتَقُومَ بِدَوْرِهَا فِي ذَلِكَ، فِي هَذَا الْإِطَارِ الْوَاسِعِ فِي مَجَالِهِ أَتَى الْأَمْرُ بِالنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ بِإِعْدَادِ الْعُدَّةِ وَبِنَاءِ الْقُوَّةِ حَسَبَ الطَّاقَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ؛ حَيْثُ قَالَ ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]»[1].

وَأَعِدُّوا يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ لِقِتَالِ الْكَافِرِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ وَالْآلَاتِ الَّتِي تَكُونُ لَكُمْ قُوَّةً فِي الْحَرْبِ عَلَىٰ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ.

---

(١) بتصرف واختصار من مقال: «أهمية الجيش في الإسلام».

وَأَعِدُّوا مَا تَسْتَطِيعُونَ مِنَ الْخَيْلِ الْمَرْبُوطَةِ الْمُجَهَّزَةِ لِلْهُجُومِ وَالِانْقِضَاضِ عَلَىٰ الْعَدُوِّ بَعْدَ إِثْخَانِهِ وَتَدْمِيرِهِ بِقُوَّةِ الرَّمْيِ، تُخَوِّفُونَ بِتِلْكَ الْقُوَّةِ الْمُرْهِبَةِ وَذَلِكَ الرِّبَاطِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَتُرْهِبُونَ آخَرِينَ مِنْ غَيْرِ الْأَعْدَاءِ الظَّاهِرِينَ، وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ، لَا تَظْهَرُ لَكُمْ عَدَاوَتُهُمُ الْآنَ؛ لَكِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُمْ.

وَإِعْدَادُ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْإِنْفَاقِ الْمَالِيِّ؛ فَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ أَجْرُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعَجَّلْ لَكُمْ عِوَضُهُ فِي الدُّنْيَا؛ بَرَكَةً فِي رِزْقِكُمْ، وَنَمَاءً فِي أَمْوَالِكُمْ، وَأَنْتُمْ لَا تُنْقَصُونَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا.(*).

وَآيَةٌ أُخْرَى تُبَيِّنُ لَنَا أَثَرَ الْقُوَّةِ فِي الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الْمَجَالِ الْعَسْكَرِيِّ؛ حَيْثُ حَكَى اللهُ -تَعَالَى- عَلَى لِسَانِ قَوْمِ مَلِكَةِ سَبَأٍ جَانِبَ الْقُوَّةِ وَالْوَصْفِ بِهَا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]، **وَإِظْهَارُهُمْ لِهَذِهِ الْقُوَّةِ فِي مَعْنَى الْعِزَّةِ وَالْهَيْبَةِ؛ لِتَحْقِيقِ الْغَلَبَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ عِنْدَ الْمُقَابَلَةِ وَالنِّزَالِ.**

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَصُفُّونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ صَفًّا فِي خُطَّةٍ مَرْسُومَةٍ مُوَحَّدَةٍ جَامِعَةٍ لِلْقُوَىٰ، وَيَثْبُتُونَ فِي الْجِهَادِ، وَيُنَفِّذُونَ أَوَامِرَ قِيَادَتِهِمُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأنفال: ٦٠].

الْحَرْبِيَّةِ الْوَاحِدَةِ كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مُحْكَمٌ مُتَنَاسِقٌ قَدْ رُصَّ بَعْضُهُ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَلَيْسَ فِيهِ فُرْجَةٌ وَلَا خَلَلٌ.

وَقَدْ تَقْضِي الْخُطَّةُ الْحَكِيمَةُ الَّتِي تَضَعُهَا الْقِيَادَةُ أَنْ يُقَاتِلَ بَعْضُ الْمُقَاتِلِينَ، وَيَتَرَبَّصَ بَعْضُهُمْ، وَيَكُونَ قِسْمٌ مِنْهُمْ فِي الْكَمَائِنِ، وَأَنْ يُدَاهِمُوا الْعَدُوَّ مِنْ عِدَّةِ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتِ الشَّكْلِ مُتَنَوِّعَاتِ السِّلَاحِ.

وَلَيْسَ مَعْنَىٰ وِحْدَةِ صَفِّ الْمُقَاتِلِينَ أَنْ يُوَاجِهُوا عَدُوَّهُمْ عَلَىٰ طَرِيقَةِ الصَّفِّ الْمُتَرَاصِّ كَتِفًا بِكَتِفٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يُمَكِّنُ الْعَدُوَّ مِنْ حَصْدِهِمْ بِالْأَسْلِحَةِ النَّارِيَّةِ الْحَدِيثَةِ بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ.

وَفِي الْآيَةِ: الْحَثُّ عَلَىٰ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَأَنْ يُوَاجِهَ جُنُودُ الْإِسْلَامِ أَعْدَاءَهُ صَفًّا سَوِيًّا رَاسِخًا كَالْبُنْيَانِ الَّذِي تَتَعَاوَنُ لَبِنَاتُهُ، وَتَتَضَامُّ وَتَتَمَاسَكُ، وَتُؤَدِّي كُلُّ لَبِنَةٍ دَوْرَهَا، وَتَسُدُّ ثَغْرَتَهَا؛ لِأَنَّ الْبُنْيَانَ كُلَّهُ يَنْهَارُ إِذَا تَخَلَّتْ مِنْهُ لَبِنَةٌ عَنْ مَكَانِهَا؛ تَقَدَّمَتْ أَوْ تَأَخَّرَتْ، أَوْ تَخَلَّتْ عَنْ أَنْ تُمْسِكَ بِأُخْتِهَا تَحْتَهَا أَوْ فَوْقَهَا أَوْ عَلَىٰ جَانِبَيْهَا سَوَاءٌ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الصف: ٤].

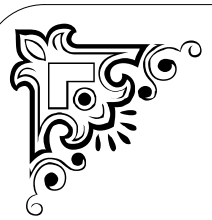

رَكَائِزُ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ

«إِنَّ مَفْهُومَ التَّنْمِيَةِ لَيْسَ بِجَدِيدٍ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؛ فَقَدْ حَفِلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الْمُطَهَّرَةُ بِالْعَدِيدِ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تُمَثِّلُ الرَّكَائِزَ الْأَسَاسِيَّةَ لِلتَّنْمِيَةِ، وَتَضَعُ الضَّوَابِطَ الَّتِي تَحْكُمُ عَلَاقَةَ الْإِنْسَانِ بِالْأَرْضِ؛ بَلْ بِالْكَوْنِ كُلِّهِ؛ مِنْ أَجْلِ ضَمَانِ اسْتِمْرَارِيَّتِهَا صَالِحَةً لِلْحَيَاةِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ.

وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ: أَنَّ مَفْهُومَ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ أَكْثَرُ شُمُولًا، فَالنَّظْرَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الشَّامِلَةُ لِلتَّنْمِيَةِ تُوجِبُ أَلَّا تَتِمَّ هَذِهِ التَّنْمِيَةُ بِمَعْزِلٍ عَنِ الضَّوَابِطِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فَإِنَّ هَذِهِ النَّظْرَةَ تُعْنَى بِالنَّوَاحِي الْمَادِّيَّةِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ النَّوَاحِي الْعَقَدِيَّةِ، والرُّوحِيَّةِ، وَالْخُلُقِيَّةِ، فَلَا تَقْتَصِرُ التَّنْمِيَةُ عَلَى الْأَنْشِطَةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَحْدَهَا، وَإِنَّمَا تَمْتَدُّ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ بِشَكْلٍ يَضْمَنُ تَحْقِيقَ التَّوَافُقِ بَيْنَ الْحَيَاتَيْنِ، وَيَجْعَلُ صَلَاحِيَةَ الْأُولَى جِسْرَ عُبُورٍ إِلَى النَّعِيمِ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَعْظَمُ الْكُنُوزِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ ﷻ عَلَى الْبَشَرِ، وَهُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَحُثُّ عَلَى عِمَارَةِ الْأَرْضِ وَتَنْمِيَةِ مَوَارِدِهَا؛ مِنْ أَجْلِ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، **وَتَيْسِيرِ الْحَيَاةِ وَتَرْقِيَتِهَا، قَالَ تَعَالَى:** ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، **وَنَهَى رَبُّنَا** جَلَّ وَعَلَا **عَنِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ الَّذِي يُضَادُّ عِمَارَةَ الْأَرْضِ وَتَنْمِيَةَ مَوَارِدِهَا، قَالَ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

أَمَّا الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ وَتَعَالِيمُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَقَدْ ذَخَرَتْ بِالْعَدِيدِ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَحُثُّ عَلَى التَّنْمِيَةِ، وَالْتِمَاسِ سُبُلِ تَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ، فَحَثَّتِ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ عَلَى الْعَمَلِ، وَتَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ بِمُخْتَلَفِ صُوَرِهَا، مَعَ الِاسْتِفَادَةِ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَوَارِدَ وَمُقَدَّرَاتٍ وَفْقَ ضَوَابِطَ مُحَدَّدَةٍ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، وَمِنْ أَقْوَالِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي ذَلِكَ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا(١)، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ(٢) إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»(٣).

---

(١) «**يغرس**»، الغرس للشجر والزرع لغيره.

(٢) «**بهيمة**» كل ذات قوائم أربع من دواب البحر والبر وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة.

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب المزارعة: باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (٢٣٢٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب المساقاة: باب فضل الغرس والزرع، (١٥٥٣)، من حديث: أنس بن مالك رضي الله عنه.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»(١)»(٢).

إِنَّ التَّنْمِيَةَ فِي الْإِسْلَامِ هِيَ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ، مُنْطَلِقَةً مِنْ قِيَمِ الْإِسْلَامِ الْمُسْتَوْحَاةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهِيَ أَمَانَةٌ نَاطَهَا الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ بِأَعْنَاقِ الْمُسْلِمِينَ أَفْرَادًا وَأُمَمًا، وَلَهَا رَكَائِزُ تُبْنَى عَلَيْهَا، وَدَعَائِمُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِهَا، وَلَهَا سُبُلٌ يَجِبُ أَنْ تُسْلَكَ، وَطُرُقٌ يَنْبَغِي أَنْ تُلْتَمَسَ.

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (٢١٨١)، وَأَحْمَدُ (١٢٩٠٢) (١٢٩٨١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١٢١٦)، وَالْبَزَّارُ (٧٤٠٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «الْحَثِّ عَلَىٰ التِّجَارَةِ» (٧٤)، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «الْمُعْجَمِ» (١٧٩)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٦/ ٧٥) (١٢٠٨)، مِنْ طَرِيقِ: هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.
وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩).

(٢) بتصرف واختصار من مقال: «**التنمية المستدامة في الإسلام**».

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ: طَاعَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الرَّكَائِزِ الْأَسَاسِيَّةِ لِتَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ فِي رُبُوعِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ: طَاعَةَ أَوَامِرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كَافَّةِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّ الْأَوَامِرَ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الْخَالِقُ هِيَ الَّتِي تُحَقِّقُ التَّنْمِيَةَ، وَالِالْتِزَامَ بِالْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ كِتَابًا وَسُنَّةً بِاعْتِبَارِهِ الْمَنْهَجَ الشَّامِلَ لِلْحَيَاةِ الَّذِي يُنَظِّمُ السُّلُوكَ الْإِنْسَانِيَّ عِلْمًا وَعَمَلًا وَخُلُقًا، وَيُوَضِّحُ الْحُقُوقَ وَالْوَاجِبَاتِ الَّتِي تَمَسُّ الْمُجْتَمَعَ عَلَى مُسْتَوَى الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ.

إِنَّ الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ لِحَلِّ الْمُشْكِلَةِ التَّنْمَوِيَّةِ؛ كَيْفَ ذَلِكَ؟

يَقُولُ الْحَقُّ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦][(١)].

«ذَكَرَ اللهُ ﷻ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ لَوْ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ إِيمَانًا صَادِقًا صَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، وَاسْتَعْمَلُوا تَقْوَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِتَرْكِ جَمِيعِ مَا حَرَّمَ اللهُ؛ لَفَتَحَ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَأَرْسَلَ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَأَنْبَتَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ مَا بِهِ يَعِيشُونَ وَتَعِيشُ بَهَائِمُهُمْ فِي أَخْصَبِ عَيْشٍ وَأَغْزَرِ رِزْقٍ مِنْ غَيْرِ عَنَاءٍ وَلَا تَعَبٍ، وَلَا كَدٍّ وَلَا نَصَبٍ»[(٢)].

---

(١) بتصرف واختصار من مقال: «ركائز التنمية في الإسلام».

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٢٩٨).

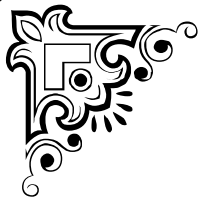

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ: الْعَامِلُ الْبَشَرِيُّ

مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ النَّظْرَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ لِلتَّنْمِيَةِ وَالْعُمْرَانِ هِيَ نَظْرَةٌ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ نَوَاحِي الْحَيَاةِ الْمَادِّيَّةِ، وَالرُّوحِيَّةِ، وَالْخُلُقِيَّةِ؛ حَيْثُ رَكَّزَ الْإِسْلَامُ عَلَى الْإِنْسَانِ كَمِحْوَرٍ لِلْعَمَلِيَّةِ التَّنْمَوِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ الْكَائِنُ الْوَحِيدُ الْقَادِرُ بِمَا قَدَّرَهُ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا وَسَخَّرَهُ لَهُ عَلَى الْإِصْلَاحِ، وَالتَّغْيِيرِ، وَالْبِنَاءِ، وَكَذَلِكَ التَّطْوِيرِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ الْمِيزَاتِ الَّتِي خَصَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَا دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْأُخْرَى، مِنْ ضِمْنِهَا الْعَقْلُ وَالتَّفْكِيرُ(١)**؛ فَقَدْ مَيَّزَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِنْسَانَ عَنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ بِالْعَقْلِ الَّذِي هُوَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ، وَأَسَاسُ الْفِكْرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالتَّدَبُّرِ، وَلَقَدْ نَعَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنْ أَهْمَلُوا هَذِهِ النِّعَمَ وَلَمْ يُعْطُوهَا حَقَّهَا،** فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩].(*).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

---

(١) بتصرف واختصار من مقال: «مفهوم التنمية من منظور إسلامي».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «نِعْمَةُ الْفَهْمِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦هـ| ٩-٩-٢٠٠٥م.

فَكَانُوا -أَيِ: الْيَهُودُ- يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ -أَيِ: التَّوْرَاةَ-، فَاسْتَفْهَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ اسْتِفْهَامَ تَوْبِيخٍ، وَالْغَرَضُ الْبَلَاغِيُّ مِنْهُ: التَّقْرِيرُ، يَقُولُ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

فَيُقَرِّرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حِلْيَتَهُ؛ فَهُوَ مِنْ غَيْرِ أُولِي النُّهَىٰ، وَمِنْ غَيْرِ أَصْحَابِ الْعُقُولِ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟!!

وَكَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ التَّوْرَاةِ وَمَا جَاءَ بِهَا مِنَ التَّعَالِيمِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ، وَكَانُوا يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنْ مُوَاقَعَةِ الْفَوَاحِشِ وَفِيهَا يَقَعُونَ!!

فَهَذِهِ صِفَتُهُمُ الَّتِي وَصَفَهُمْ بِهَا رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.(*).

وَقَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

قُلْ يَا رَسُولَ اللهِ: هَلْ يَسْتَوِي الْجَاهِلُ بِحَقَائِقِ الدِّينِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الدِّينِ الرَّبَّانِيَّةِ؟!! أَفَقَدْتُمْ مَا وَهَبْنَاكُمْ مِنْ عَقْلٍ فَلَا تَتَفَكَّرُونَ أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ؟!!(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٨ مِنْ رَجَب ١٤٢٥هـ| ٣-٩-٢٠٠٤م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الأنعام: ٥٠].

وَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].(*).

إِنَّ الْعَامِلَ الْبَشَرِيَّ مِنْ أَهَمِّ مَفَاتِيحِ الْعَمَلِيَّةِ التَّنْمَوِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الْعُمْرَانِيَّةِ؛ فَالتَّنْمِيَةُ تَتَطَلَّبُ الْحُضُورَ الْإِنْسَانِيَّ الْفَاعِلَ فِي الْحَيَاةِ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ الْوُجُودِ فِيهَا، فَهِيَ تَتَطَلَّبُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فَاعِلًا وَمُؤَثِّرًا فِي الْحَيَاةِ، وَأَنْ يَضَعَ بَصْمَتَهُ فِي كَافَّةِ الْمَجَالَاتِ عَلَى حَسَبِ عِلْمِهِ وَتَخَصُّصِهِ وَمَوَاهِبِهِ.

مِنْ أَهَمِّ مُرْتَكَزَاتِ الْإِسْلَامِ التَّنْمَوِيَّةِ: الِاسْتِخْدَامُ الْأَمْثَلُ لِلْمَوَارِدِ الْبَشَرِيَّةِ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الْعِنَايَةَ وَالِاهْتِمَامَ بِالْعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِعْطَاءَهَا فُرْصَتَهَا لِتَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ فِي مُخْتَلَفِ الْمَجَالَاتِ(٢).

لَقَدِ اهْتَمَّ دِينُنَا الْحَنِيفُ بِإِعْدَادِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَجْلِ الْإِعْمَارِ وَالتَّنْمِيَةِ؛ فَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ مِنْ أَجْلِ سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ وَحَيَاتِهِ الْكَرِيمَةِ، لَا فِي الْآخِرَةِ وَحْدَهَا، بَلْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ ذَلِكَ؛ وَلِذَا فَإِنَّ مِمَّا يَهْدُفُ إِلَيْهِ الدِّينُ: هُوَ دَفْعُ الْإِنْسَانِ؛ لِكَيْ يَجْعَلَ مِنْ إِيمَانِهِ وَاعْتِقَادِهِ مُنْطَلَقًا نَحْوَ سَعْيِهِ فِي الْحَيَاةِ وَبِنَائِهِ لَهَا وَفْقَ قَوَاعِدَ وَأُسُسٍ سَلِيمَةٍ تَقُومُ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالْفَضَائِلِ وَالْأَخْلَاقِ، وَالْعَمَلِ الَّذِي يَعْمُرُ الْأَرْضَ، وَيُنْتِجُ الطَّيِّبَاتِ، وَيُحَقِّقُ الْحَيَاةَ الْكَرِيمَةَ لِلْإِنْسَانِ؛ بَلْ مِنْ أَجْمَلِ مَا نَقْرَأُ: حَدِيثٌ عَجِيبٌ لَنْ نَعْثُرَ عَلَيْهِ فِي قَوَامِيسِ الِاقْتِصَادِ وَالْخِبْرَةِ الدَّوْلِيَّةِ؛ فَهُوَ مِنَ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، يَقُولُ نَبِيُّنَا ﷺ:

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْحَمَّادُونَ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ| ٤-١٢-٢٠١٥م.

(٢) بتصرف واختصار من مقال: «مفهوم التنمية في الإسلام».

«إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»[١]. وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

وَمِنْ ثَمَّ مَنْ سَعَى فِي الْأَرْضِ وَاجْتَهَدَ؛ نَالَ جَزَاءَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَعَمَّ عَلَيْهِ الرَّخَاءُ، وَمَنِ امْتَنَعَ عَنِ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ؛ فَلَيْسَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَلُومَ الْفَقْرَ وَالتَّخَلُّفَ، بَلْ يَلُومُ نَفْسَهُ أَوَّلًا، وَقَالَ ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَىٰ ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٢].

كَمَا دَعَا الْإِسْلَامُ إِلَى تَعْمِيرِ الْأَرْضِ، وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ خَيْرَاتِهَا، يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ[٣]: «﴿اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أَيْ: جَعَلَكُمْ فِيهَا عُمَّارًا تَعْمُرُونَهَا وَتَسْتَغِلُّونَهَا».

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «أَيْ: جَعَلَكُمْ عُمَّارَهَا وَسُكَّانَهَا».

وَلَيْسَ هُنَاكَ أَدَقُّ مِنْ مَفْهُومِ التَّعْمِيرِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ التَّنْمِيَةِ فِي مَفْهُومِهَا الْإِسْلَامِيِّ؛ إِذْ لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ التَّعْمِيرَ الْمَادِّيَّ الْحِسِّيَّ، بَلِ التَّعْمِيرُ بِمَعْنَى التَّطْوِيرِ وَالتَّنْمِيَةِ[٥].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «صحيح البخاري»: (٣/ ٣٣٥، رقم ١٤٧٠)، و«صحيح مسلم»: (٢/ ٧٢١، رقم ١٠٢٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم»: (٤/ ٣٣١).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن»: (٩/ ٥٦).

(٥) بتصرف واختصار من مقال: «ركائز التنمية في الإسلام».

إِنَّ التَّنْمِيَةَ الشَّامِلَةَ تَتَحَقَّقُ بِاسْتِثْمَارِ الطَّاقَاتِ الْبَشَرِيَّةِ؛ وَخَاصَّةً الشَّبَابَ مِنْ حَيْثُ إِعْدَادُهُمْ، وَتَنْمِيَةُ مَهَارَاتِهِمْ، وَحُسْنُ تَأْهِيلِهِمْ، وَالدَّفْعُ بِهِمْ فِي مَجَالَاتِ الْعَمَلِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَلَقَدْ أَوْلَى النَّبِيُّ ﷺ الشَّبَابَ اهْتِمَامًا كَبِيرًا؛ فَقَدْ جَعَلَ نَبِيُّنَا ﷺ مَنْزِلَةَ الشَّابِّ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي يَخْدُمُ دِينَهُ وَوَطَنَهُ تَالِيَةً لِمَنْزِلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، قَالَ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَقَدْ حَثَّنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى اغْتِنَامِ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْمُهِمَّةِ مِنْ مَرَاحِلِ الْعُمُرِ بِالْعَمَلِ وَالْعَطَاءِ، وَالتَّزَوُّدِ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ لِأَنْفُسِنَا وَدِينِنَا وَمُجْتَمَعِنَا؛ لِتَحْقِيقِ سَعَادَتِنَا وَمَا فِيهِ خَيْرُنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

---

(١) أخرجه البخاري: (٢/ ١٤٣، رقم ٦٦٠)، ومسلم: (٢/ ٧١٥، رقم ١٠٣١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: (٥/ ٥٨، رقم ١١١)، والحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٣٠٦، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقي في

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الشَّبَابَ نِعْمَةٌ كَغَيْرِهَا مِنَ النِّعَمِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ سَيُسْأَلُ عَنْهَا أَمَامَ اللهِ جَلَّوَعَلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ؛ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.(*).

لَقَدْ مَنَحَ النَّبِيُّ ﷺ الشَّبَابَ الثِّقَةَ، وَحَمَّلَهُمُ الْمَسْؤُولِيَّةَ؛ فَمِمَّا لَا يَخْفَىٰ: أَنَّ سِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ الْعَطِرَةَ وَأَيَّامَهُ النَّضِرَةَ شَاهِدَةٌ عَلَىٰ اهْتِمَامِهِ ﷺ بِالشَّبَابِ، وَرِعَايَتِهِمْ، وَتَعْلِيمِهِمْ، وَتَوْجِيهِهِمْ، وَحِرْصِهِ عَلَىٰ الْحِوَارِ مَعَهُمْ، وَتَأْهِيلِهِمْ لِلْقِيَادَةِ، فَتَرَاهُ ﷺ يُدْنِيهِمْ وَيُقَرِّبُهُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ؛ حَتَّىٰ يَكْتَسِبُوا الْعِلْمَ وَالْخِبْرَةَ وَالْحِكْمَةَ، وَحَتَّىٰ يَكُونُوا عَلَىٰ إِدْرَاكٍ كَامِلٍ وَوَعْيٍ حَقِيقِيٍّ بِالْأَحْدَاثِ مِنْ حَوْلِهِمْ، ثُمَّ يَمْنَحُهُمْ ﷺ الثِّقَةَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيُكَلِّفُهُمْ بِتَحَمُّلِ الْمَسْئُولِيَّةِ.

=

«شعب الإيمان»: (١٢/ ٤٧٦ رقم ٩٧٦٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ٣١١، رقم ٣٣٥٥)، وروي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ مرسلًا، بمثله، وانظر: «شعب الإيمان»: (١٢/ ٤٧٦ - ٤٧٨).

(١) أخرجه الترمذي: (٤/ ٦١٢، رقم ٢٤١٧)، من حديث: أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٦٢، رقم ١٢٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «دَوْرُ الشَّبَابِ فِي بِنَاءِ الدُّوَلِ وَالْحَضَارَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤٠هـ| ٢-١١-٢٠١٨م.

فَفِي غَزْوَةِ بَدْرٍ اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم، فَتَكَلَّمَ مِنْ شَبَابِ الْمُهَاجِرِينَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه قَائِلًا: «يَا رَسُولَ اللهِ؛ امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللهُ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ». أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيرَةِ»(١) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَبِنَحْوِهِ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(٢).

وَمِنْ شَبَابِ الْأَنْصَارِ تَكَلَّمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَائِلًا: «وَاللهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللهِ».

قَالَ: «**أَجَلْ**».

قَالَ: «فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَىٰ ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ؛ فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة»: (١/ ٦١٥)، والبيهقي في «الدلائل»: (٣/ ٣١-٣٤ و١٠٧).

(٢) «صحيح البخاري»: (٧/ ٢٨٧، رقم ٣٩٥٢) و(٨/ ٢٧٣، رقم ٤٦٠٩)، من حديث: ابن مسعود، قال: شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَىٰ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ.

الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ.. مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَىٰ بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ، لَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ؛ فَسِرْ بِنَا عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ».

فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَّطَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا**».

أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيرَةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ(١).(*).

❀❀❀

(١) أخرجه ابن هشام في «السير»: (١/ ٦١٥)، والطبري في «تاريخ الرسل والملوك»: (٢/ ٤٣٥)، والبيهقي في «الدلائل»: (٣/ ٣٤).

وأصله في صحيح مسلم: (٣/ ١٤٠٣ - ١٤٠٤، رقم ١٧٧٩)، من حديث: أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَىٰ بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا،... الحديث.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «دَوْرُ الشَّبَابِ فِي بِنَاءِ الدُّوَلِ وَالْحَضَارَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ صَفَرٍ ١٤٤٠هـ| ٢-١١-٢٠١٨م.

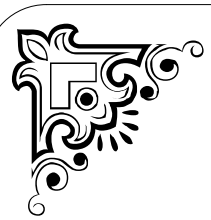

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ: الْعِلْمُ

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ مُرْتَكَزَاتِ التَّنْمِيَةِ: الْعِلْمَ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ -تَعَالَى- الْإِنْسَانَ أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْبَابِ الْعِلْمِ؛ لِيَعْمُرَ الْأَرْضَ، وَيَسْتَثْمِرَ الْمَوَارِدَ الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ -سُبْحَانَهُ- فِي الْكَوْنِ، فَيُحَقِّقَ التَّنْمِيَةَ الشَّامِلَةَ الَّتِي تَعُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

«يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ عَلَىٰ اتِّسَاعِهِمَا وَعِظَمِهِمَا، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللهُ مِنَ السَّحَابِ، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ الْمَاءِ ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَنْوَاعِ ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾، وَرِزْقًا لِأَنْعَامِكُمْ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ أَيِ: السُّفُنَ وَالْمَرَاكِبَ؛ ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾، فَهُوَ الَّذِي يَسَّرَ لَكُمْ صَنْعَتَهَا، وَأَقْدَرَكُمْ عَلَيْهَا، وَحَفِظَهَا عَلَىٰ تَيَّارِ الْمَاءِ لِتَحْمِلَكُمْ وَتَحْمِلَ تِجَارَاتِكُمْ وَأَمْتِعَتَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ تَقْصِدُونَهُ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾؛ لِتَسْقِيَ حُرُوثَكُمْ وَأَشْجَارَكُمْ، وَتَشْرَبُوا مِنْهَا.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ ﴾ لَا يَفْتُرَانِ، وَلَا يَنِيَانِ، يَسْعَيَانِ لِمَصَالِحِكُمْ مِنْ حِسَابِ أَزْمِنَتِكُمْ، وَمَصَالِحِ أَبْدَانِكُمْ، وَحَيَوَانَاتِكُمْ، وَزُرُوعِكُمْ وَثِمَارِكُمْ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ ﴾ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴿وَٱلنَّهَارَ ﴾ مُبْصِرًا لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ»(١).

وَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ ﴾ [لقمان: ٢٠].

«يَمْتَنُّ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ عِبَادِهِ بِنِعَمِهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَىٰ شُكْرِهَا وَرُؤْيَتِهَا، وَعَدَمِ الْغَفْلَةِ عَنْهَا، فَقَالَ: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ ﴾ أَيْ: تُشَاهِدُوا وَتُبْصِرُوا بِأَبْصَارِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ مِنَ الشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالنُّجُومِ، كُلُّهَا مُسَخَّرَاتٌ لِنَفْعِ الْعِبَادِ ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَالْأَشْجَارِ وَالزُّرُوعِ، وَالْأَنْهَارِ، وَالْمَعَادِنِ، وَنَحْوِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا**﴾ [البقرة: ٢٩].

﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أَيْ: عَمَّكُمْ وَغَمَرَكُمْ نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ الَّتِي نَعْلَمُ بِهَا، وَالَّتِي تَخْفَىٰ عَلَيْنَا، نِعَمَ الدُّنْيَا، وَنِعَمَ الدِّينِ، حُصُولَ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعَ الْمَضَارِّ، فَوَظِيفَتُكُمْ أَنْ تَقُومُوا بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ بِمَحَبَّةِ الْمُنْعِمِ وَالْخُضُوعِ لَهُ، وَصَرْفِهَا فِي الِاسْتِعَانَةِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَأَنْ لَا يُسْتَعَانَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ»(٢).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٤٢٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٦٤٩).

وقال ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: ١٣].

«يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنْ شَمْسٍ، وَقَمَرٍ، وَنُجُومٍ ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مِنْ دَابَّةٍ، وَشَجَرٍ، وَجَبَلٍ، وَجَمَادٍ، وَسُفُنٍ لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ ﴿جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾: يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ نِعَمٌ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ، وَفَضْلٌ مِنْهُ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكُمْ؛ فَإِيَّاهُ فَاحْمَدُوا، لَا غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْرَكْهُ فِي إِنْعَامِ هَذِهِ النِّعَمِ عَلَيْكُمْ شَرِيكٌ، بَلْ تَفَرَّدَ بِإِنْعَامِهَا عَلَيْكُمْ، وَجَمِيعُهَا مِنْهُ وَمِنْ نِعَمِهِ؛ فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ فِي شُكْرِكُمْ لَهُ شَرِيكًا، بَلْ أَفْرِدُوهُ بِالشُّكْرِ وَالْعِبَادَةِ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْأُلُوهَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ»(١).

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَحُضُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ التَّرَقِّي فِي الْعُلُومِ، وَفِي النَّظَرِ فِي آفَاقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَىٰ النَّظَرِ فِي الْأَنْفُسِ؛ بَلْ وَعَلَىٰ النَّظَرِ فِيمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، وَهُوَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مَنْ وَصَلَ مِمَّنْ نَظَرُوا فِي أَمْثَالِ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي حَدَّدَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ مَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، فَاسْتَخْرَجُوا الْمَعَادِنَ، وَاسْتَخْرَجُوا تِلْكَ الْمَادَّةَ الَّتِي صَارَتْ طَاقَةً لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْعَالَمُ الْيَوْمَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ إِشَارَةً مُجْمَلَةً ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

فَالْمُسْلِمُونَ لَمَّا أَخَذُوا بِتَعَالِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ تَقَدَّمُوا حَتَّىٰ مَلَكُوا الْعَالَمَ الْقَدِيمَ كُلَّهُ.

---

(١) تفسير الطبري: سورة الجاثية: الآية١١، (٢٥/ ١٤٣).

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «فَهَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ يَحُثُّ عَلَىٰ الرُّقِيِّ الصَّحِيحِ وَالْقُوَّةِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، عَكْسَ مَا افْتَرَاهُ أَعْدَاؤُهُ أَنَّهُ -أَيِ: الْإِسْلَامَ- مُخَدِّرٌ مُفَتِّرٌ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ كَذِبَهُمْ وَافْتِرَاءَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ الْمُبَاهَتَاتِ وَالْمُكَابَرَاتِ سَهَّلَتْ عَلَيْهِمْ، وَظَنُّوا مِنْ جَهْلِهِمْ أَنَّهَا تَرُوجُ عَلَىٰ الْعُقَلَاءِ.

وَكُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ وَافْتِرَاءَهُمْ، وَإِنَّمَا يَغْتَرُّ بِهِمُ الْجَاهِلُونَ الضَّالُّونَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا.

بَلْ يُصَوِّرُ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ الْإِسْلَامَ بِصُوَرٍ شَنِيعَةٍ؛ لِيُرَوِّجُوا مَا يَقُولُونَهُ مِنَ الْبَاطِلِ؛ وَإِلَّا فَمَنْ عَرَفَ الْإِسْلَامَ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً؛ عَرَفَ أَنَّهُ لَا تَسْتَقِيمُ أُمُورُ الْبَشَرِ دِينِيُّهَا وَدُنْيَوِيُّهَا إِلَّا بِهِ، وَأَنَّ تَعَالِيمَهُ الْحَكِيمَةَ أَكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَىٰ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، عَالِمٍ بِالْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَحِيمٍ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ شَرَعَ لَهُمْ هَذَا الدِّينَ». انْتَهَىٰ كَلَامُ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! طِيبُوا نَفْسًا بِهَذَا الدِّينِ الْخَاتَمِ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَكُمْ، وَالَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِهِ.

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي النَّظَرِ فِي الْآفَاقِ، وَفِي الْأَنْفُسِ، وَفِيمَا بَثَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي تَضَاعِيفِ هَذَا الْكَوْنِ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِكَيْ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَىٰ الْأَسْرَارِ الَّتِي تَرْتَقِي بِهَا الْحَيَاةُ.

---

(١) «الدلائل القرآنية» (٣/ ٤٨٦/ مجموع مؤلفات السعدي).

فَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ تَرْقِيَةِ الْإِنْسَانِ فِيمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ.. جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِبَادَةً للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ هُوَ دِينُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي أَكْمَلَهُ وَرَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَهُوَ يَحْمِلُ فِي آيَاتِهِ وَتَضَاعِيفِهِ الْبَرَاهِينَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ صِدْقِ مَنْ أَتَىٰ بِهِ مِنْ لَدُنْ رَبِّهِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ - السَّبْتُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ١٩-١٠-٢٠١٣م.

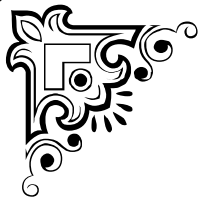

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ: الْعَمَلُ

إِنَّ تَحْقِيقَ التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَةِ يَتَطَلَّبُ عَمَلًا نَافِعًا جَادًّا يَشْمَلُ جَمِيعَ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ؛ زِرَاعَةً؛ حَيْثُ يَقُولُ نَبِيُّنَا ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ صَدَقَةً، ولا يَرْزَؤُهُ(١) أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، أَوْ تِجَارَةً؛ حَيْثُ يَقُولُ نَبِيُّنَا ﷺ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ»(٣)، أَوْ حِرْفَةً وَصَنْعَةً؛ حَيْثُ يَقُولُ الْحَقُّ ﷻ عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُدَ عليه السلام: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠-١١].

---

(١) «**ولا يرزؤه**»، أي: لا ينقصه ويأخذ منه.

انظر: «**المفهم**»: (٤/ ٤٢٢)، وشرح النووي علىٰ مسلم: (١٠/ ٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كتاب المساقاة: باب فضل الغرس والزرع، (١٥٥٢)، من حديث: جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفيه قصة، فقال:

دخل النبي ﷺ علىٰ أم معبد حائطا، فقال: «**يا أم معبد، من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟**» فقالت: بل مسلم، قال: «**فلا يغرس المسلم غرسا،...**» الحديث.

(٣) تقدم تخريجه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَىٰ ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

وَعَنِ الْمِقْدَامِ رضي الله عنه -كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(٢)- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**».(*).

«دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ دِينُ الْحَرَكَةِ النَّافِعَةِ، وَالنَّشَاطِ الْمُتَوَثِّبِ، وَالْعَمَلِ الدَّؤُوبِ، يَحُثُّ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَجْعَلُهُ نَوْعًا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَعُدُّهُ قِسْمًا مِنَ الْعِبَادَاتِ.

الْإِسْلَامُ يَكْرَهُ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ، وَيَكْرَهُ الِاتِّكَالَ عَلَىٰ الْغَيْرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ [النجم: ٣٩]»(٤).(*/٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «**الصحيح**»: (٤/ ٣٠٣، رقم ٢٠٧٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

(٤) «**تيسير العلام شرح عمدة الأحكام**» لعبد الله آل بسام: مقدمة قسم المعاملات، (ص٤٤٦-٤٤٧)، بتصرف يسير.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ)، الْخَمِيسُ ٤ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ| ١٨-٢-٢٠١٠م.

وَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

مُسَافِرُونَ يُسَافِرُونَ لِلتِّجَارَةِ؛ لِيَسْتَغْنُوا عَنِ الْخَلْقِ، وَيَتَكَفَّفُوا عَنِ النَّاسِ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّ ابْتِغَاءَ فَضْلِ اللهِ بِالتَّكَسُّبِ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ لَيْسَ فِيهِ حَرَجٌ إِذَا لَمْ يَشْغَلْ عَمَّا يَجِبُ إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ هُوَ الْحَجَّ، وَكَانَ الْكَسْبُ حَلَالًا مَنْسُوبًا إِلَىٰ فَضْلِ اللهِ، لَا مَنْسُوبًا إِلَىٰ حِذْقِ الْعَبْدِ، وَالْوُقُوفِ مَعَ السَّبَبِ، وَنِسْيَانِ الْمُسَبِّبِ؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْحَرَجُ بِعَيْنِهِ.(*/٢).

وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا **جَعَلَ اللَّيْلَ لِرَاحَةِ الْبَشَرِ، وَالنَّهَارَ لِطَلَبِ الرِّزْقِ، وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ، قَالَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠-١١].

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ سِتْرًا وَغِطَاءً، وَقَطْعًا لِلْحَرَكَةِ، وَتَحْصِيلًا لِلرَّاحَةِ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ وَقْتًا لِطَلَبِ الْعَيْشِ وَالرِّزْقِ، وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَالْحَيَاةِ.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ)، السَّبْتُ ١٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ| ٣٠-١-٢٠١٠م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ).

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [النبأ: ١٠-١١].

«هَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ يَحُثُّ عَلَىٰ الرُّقِيِّ الصَّحِيحِ وَالْقُوَّةِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ».(*).

إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَىٰ الْعَمَلِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَىٰ السَّعْيِ وَالتَّكَسُّبِ، فَهُوَ دِينٌ يُؤَكِّدُ عَلَىٰ الْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ، وَيَذُمُّ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ وَالِاتِّكَالِيَّةَ؛ إِذْ لَا مَكَانَ فِيهِ لِلِاسْتِرْخَاءِ وَالْبَطَالَةِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَىٰ الْآخَرِينَ وَاسْتِجْدَائِهِمْ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ.

فَالْإِسْلَامُ دِينُ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ، يَحُثُّ الْجَمِيعَ عَلَىٰ الْإِنْتَاجِ وَالْإِبْدَاعِ، وَيَهِيبُ بِفِئَاتِ الْمُجْتَمَعِ كَافَّةً أَنْ تَنْهَضَ وَتَعْمَلَ بِإِتْقَانٍ، وَيَقُومَ كُلٌّ بِدَوْرِهِ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فِيهِ؛ لِنَفْعِ الْأُمَّةِ وَإِفَادَتِهَا.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ - السَّبْتُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ١٩-١٠-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةِ: «انْتِصَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ٢٥-٥-٢٠١٨م.

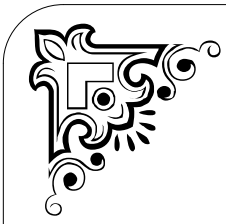

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَةِ: الْأَمْنُ

لَا شَكَّ أَنَّ تَحْقِيقَ الْأَمْنِ مِنْ أَهَمِّ أُسُسِ التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَةِ؛ حَيْثُ رَبَطَ الْحَقُّ ﷻ بَيْنَ الْأَمْنِ وَالرِّزْقِ بِرِبَاطٍ وَثِيقٍ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وَامْتَنَّ اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ حَرَمِهِ الْآمِنِ بِالْأَمْنِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٧] أَيْ: أَجَهِلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قِيمَةَ النِّعْمَةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا، وَلَمْ يُدْرِكُوا وَيُشَاهِدُوا أَنَّا جَعَلْنَا بَلَدَهُمْ مَكَّةَ حَرَمًا آمِنًا يَأْمَنُونَ فِيهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ، وَعَلَىٰ أَعْرَاضِهِمْ وَالْحَالُ أَنَّ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَعْتَدِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ؟!!

وَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ حَوْلَ مَكَّةَ يَغْزُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَغَاوَرُونَ وَيَتَنَاهَبُونَ، يُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَيَنْهَبُ بَعْضُهُمْ مَالَ غَيْرِهِ، وَأَهْلُ مَكَّةَ مُسْتَقِرُّونَ فِيهَا آمِنُونَ،

لَا يُعْتَدَىٰ عَلَيْهِمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ غَيْرِهِمْ، فَذَكَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْخَاصَّةِ بِهِمْ -بِنِعْمَةِ الْأَمْنِ-.

وَالِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧] لِلتَّعَجُّبِ مِنْ حَالِهِمْ، وَلِلتَّوْبِيخِ لَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الْجُحُودِ وَالْكُفْرِ لِنِعَمِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

أَفَبَعْدَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ يُؤْمِنُونَ بِالْأَصْنَامِ، وَبِنِعْمَةِ اللهِ الَّتِي تَسْتَدْعِي اسْتِجَابَتَهُمْ لِلْحَقِّ يَكْفُرُونَ؟!![1].

وَكَانَ أَمْنُ أَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَقَدْ مَدَحَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مَدْحًا عَظِيمًا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

فَجَعَلَهُ اللهُ مَرْجِعًا لِلنَّاسِ، يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَمَلَاذًا وَحِصْنًا لَهُمْ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ؛ فَهُوَ مَوْضِعُ أَمْنِهِمْ وَاطْمِئْنَانِهِمْ[2].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٣-٤].

وَذَكَرَ -تَعَالَىٰ- مِنَّتَهُ عَلَىٰ سَبَأٍ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

---

(١) «التفسير الوسيط» (١١/ ٥٧-٥٨).

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ١٤٦)، و«التفسير الوسيط» (١/ ٢٦٨).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**»(١). (*).

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ حَازَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الثَّلَاثَةَ؛ فَكَأَنَّهُ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا.

أَوَّلًا: الْأَمْنُ فِي النَّفْسِ، وَالْمَالِ، وَالْأَهْلِ، وَالْعِيَالِ، وَالدَّارِ.

ثَانِيًا: الصِّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ فِي الْجَسَدِ.

ثَالِثًا: تَوَفُّرُ قُوتِ الْيَوْمِ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم٢٣٤٦)، وابن ماجه في «السنن» (رقم٤١٤١)، من حديث: عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وفي رواية لابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ رقم٢١٢٦) زاد: «...، **فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**».
والحديث حسنه لغيره الألباني في «الصحيحة» (٥/ رقم٢٣١٨)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ رقم٨٣٣)، وله شواهد من رواية أبي الدرداء وابن عمر رضي الله عنهم.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «مَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَالْمُؤَامَرَةُ عَلَىٰ مِصْرَ الْآنَ!!».

فَبَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِنِعْمَةِ الْأَمْنِ؛ لِأَنَّهُ لَا لَذَّةَ وَلَا تَمَتُّعَ بِنِعْمَةِ الْعَافِيَةِ وَلَا بِنِعْمَةِ الطَّعَامِ إِلَّا بِوُجُودِ نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ.

فَقَوْلُهُ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ**» أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ «**آمِنًا**» غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ عَدُوٍّ «**فِي سِرْبِهِ**» أَيْ: فِي نَفْسِهِ، وَقِيلَ: السِّرْبُ: الْجَمَاعَةُ، وَالْمَعْنَىٰ: فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَقِيلَ: بِفَتْحِ السِّينِ، أَيْ: فِي مَسْلَكِهِ وَطَرِيقِهِ، وَقِيلَ: بِفَتْحَتَيْنِ، أَيْ: فِي بَيْتِهِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «يُقَالُ: فُلَانٌ آمِنٌ فِي سِرْبِهِ -بِالْكَسْرِ-، أَيْ: فِي نَفْسِهِ».

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ عِظَمَ قَدْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ، وَهِيَ أَنْ يُصْبِحَ الْمَرْءُ آمِنًا فِي نَفْسِهِ، وَفِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَفِي مَسْلَكِهِ وَطَرِيقِهِ، ثُمَّ رَتَّبَ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ مَا ذَكَرَ بَعْدُ ﷺ مِنْ عَافِيَةِ الْجَسَدِ، وَمِنْ نِعْمَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

وَمَنْ آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ؛ فَكَأَنَّمَا مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا.(*).

إِنَّ الْحَيَاةَ لَا تَقُومُ وَلَا يَتَحَقَّقُ الرَّخَاءُ وَلَا تَتَقَدَّمُ الْأُمَمُ إِلَّا بِالْأَمْنِ.. إِنَّ الْأَمْنَ وَالِاسْتِقْرَارَ نِعْمَةٌ عَظِيمٌ نَفْعُهَا، كَرِيمٌ مَآلُهَا، وَبِاللهِ ثُمَّ بِالْأَمْنِ يُحَجُّ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ، وَتُعَمَّرُ الْمَسَاجِدُ، وَيُرْفَعُ الْأَذَانُ مِنْ فَوْقِ الْمَنَارَاتِ، وَيَأْمَنُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَعْرَاضِهِمْ، وَتَأْمَنُ السُّبُلُ.

بِاللهِ ثُمَّ بِالْأَمْنِ تُرَدُّ الْمَظَالِمُ لِأَهْلِهَا، فَيُنْتَصَرُ لِلْمَظْلُومِ، وَيُرْدَعُ الظَّالِمُ، وَتُقَامُ الشَّعَائِرُ، وَيَرْتَفِعُ شَأْنُ التَّوْحِيدِ مِنْ فَوْقِ الْمَنَابِرِ، وَيَجْلِسُ الْعُلَمَاءُ لِلْإِفَادَةِ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ» - الْجُمُعَةُ ٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٧هـ| ١٨-١٢-٢٠١٥م.

وَيَرْحَلُ الطُّلَّابُ لِلِاسْتِفَادَةِ، وَتُحَرَّرُ الْمَسَائِلُ، وَتُعْرَفُ الدَّلَائِلُ، وَيُزَارُ الْمَرْضَىٰ، وَيُحْتَرَمُ الْمَوْتَىٰ، وَيُرْحَمُ الصَّغِيرُ وَيُدَلَّلُ، وَيُحْتَرَمُ الْكَبِيرُ وَيُبَجَّلُ، وَتُوصَلُ الْأَرْحَامُ، وَتُعْرَفُ الْأَحْكَامُ، وَيُؤْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُكَرَّمُ الْكَرِيمُ، وَيُعَاقَبُ اللَّئِيمُ.

وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ فَبِالْأَمْنِ اسْتِقَامَةُ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبِالْأَمْنِ صَلَاحُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَالْحَالِ وَالْمَآلِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ الْأَبِيُّ وَشَيْخُ الْحَدَّادِيَّةِ» - ١٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩هـ| ٦-١٠-٢٠١٧م.

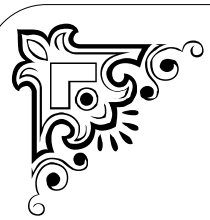

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ:
احْتِرَامُ النِّظَامِ الْعَامِّ وَطَاعَةُ وُلَاةِ الْأُمُورِ

إِنَّ التَّنْمِيَةَ الشَّامِلَةَ هِيَ الَّتِي تَعُمُّ أَبْنَاءَ الْوَطَنِ وَرُبُوعَهُ؛ مُدُنَهُ وَقُرَاهُ، حَضَرَهُ وَبَدْوَهُ، عَوَاصِمَهُ وَحُدُودَهُ.. عَلَى أَنَّنَا نُؤَكِّدُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ التَّنْمِيَةُ الشَّامِلَةُ بِدُونِ نِظَامٍ عَامٍّ يَضْبِطُ لِلنَّاسِ حَيَاتَهُمْ وَفْقَ قَوَاعِدَ وَأُصُولٍ مُسْتَنْبَطَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَحْفَظُ الْمُجْتَمَعَ مِنَ الْفَوْضَى.

إِنَّ النِّظَامَ مَبْدَأٌ دَعَا إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ، وَأَمَرَ أَتْبَاعَهُ بِأَنْ يَجْعَلُوهُ سُلُوكًا يُمَارِسُونَهُ فِي حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ؛ حَتَّى يَكُونَ الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ مُجْتَمَعًا مُنَظَّمًا يَتَحَمَّلُ كُلُّ فَرْدٍ فِيهِ مَسْئُولِيَّتَهُ؛ حَتَّى تَتَحَقَّقَ الْمَصْلَحَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي يَحْصُدُ ثِمَارَهَا الْمُجْتَمَعُ كُلُّهُ.

إِنَّ الْمَنْظُومَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي الْحُكْمِ.. فِي جَمِيعِ الْمَجَالَاتِ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ عِبَارَةٍ وَاحِدَةٍ: أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ كَبِيرٌ يُطَاعُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، فَقَامَتْ أَحْزَابُ الشَّيْطَانِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالدَّاخِلِ لِهَدْمِ هَذَا الْأَصْلِ، وَتَسْوِيَةِ النَّاسِ جَمِيعًا، وَالنَّاسُ سَوَاءٌ فِي الْخِلْقَةِ، كُلُّهُمْ عَبِيدٌ للهِ، كُلُّهُمْ عِنْدَ اللهِ سَوَاءٌ؛ وَلَكِنْ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ؛ فَمَا عَالِمٌ كَجَاهِلٍ، وَمَا كَرِيمٌ كَبَخِيلٍ، وَمَا شُجَاعٌ كَجَبَانٍ، رَفَعَ اللهُ بَعْضَنَا فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.

الْمَبْدَأُ الْأَصْلُ: كَبِيرٌ يُطَاعُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ؛ أَبٌ فِي بَيْتِهِ يُطَاعُ؛ حَتَّىٰ فِي الْمَدْرَسَةِ.. فِي حُجْرَةِ الدَّرْسِ كَبِيرٌ يُطَاعُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، فِي الْكُتَّابِ كَبِيرٌ يُطَاعُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، فِي الْمَسْجِدِ كَبِيرٌ يُطَاعُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، إِمَامٌ مَنْ سَاوَاهُ لَمْ يَكُنْ مُحْسِنًا، وَمَنْ سَبَقَهُ كَانَ مُسِيئًا مُبْطِلًا.

كَبِيرٌ يُطَاعُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، فَإِذَا عَصَىٰ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ، وَكَذَا نِظَامُ الْحُكْمِ فِي أَصْلِهِ: إِمَامٌ لَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَلَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ.(*).

عَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، **قَالَ**: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً»(٢).. «وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ -أَيْ: سَالَتْ مَدَامِعُهَا-، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ -أَيْ: ضَاقَتْ مِنَ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ-».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةِ: «إِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ١٥-٦-٢٠١٢م.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، و٤٣، و٤٤)، من حديث: العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

=

فَقُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ؛ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ»؛ لِأَنَّ الْمُوَدِّعَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوصِيَ أَهْلَهُ وَمَنْ يَخْلُفُهُ مِنْ بَعْدِهِ؛ أَوْجَزَ وَأَبْلَغَ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ أَكْثَرَ اسْتِقْرَارًا فِي النُّفُوسِ، وَحَتَّىٰ يَكُونَ دَاعِيَةً إِلَىٰ التَّنْفِيذِ.

«كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؛ فَأَوْصِنَا».

فَقَالَ ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ**».

«**عَلَيْكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ**»: فَضَبَطَ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَمِلَ بِأَوَامِرِ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ، يَرْجُو رِضْوَانَ اللهِ، وَاجْتَنَبَ مَنْهِيَّاتِ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ، يَخَافُ عَذَابَ اللهِ؛ كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ قَدْ أَدَّىٰ الَّذِي عَلَيْهِ، وَصَارَ عَبْدًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ.

فَضَبَطَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا عَلَاقَةٌ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَاعِدَةَ الَّتِي إِذَا مَا أَخَذَ بِهَا الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ؛ عَاشَ فِي تَوَاؤُمٍ وَسَلَامٍ، وَبَعُدَ عَنْهُ شَبَحُ الْفَوْضَىٰ وَالِانْقِسَامِ، وَمَتَىٰ مَا خُولِفَتِ الْقَاعِدَةُ

=

وفي رواية: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ**».

والحديث صححه الألباني في «الإرواء» (٢٤٥٥)، وفي «الصحيحة» (٩٣٧).

دَبَّتِ الْفَوْضَىٰ فِي أَرْجَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَانْتُهِكَتِ الْأَعْرَاضُ، وَسُلِبَتِ الْأَمْوَالُ، وَأُزْهِقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَقُطِّعَتِ الطُّرُقُ، فَلَا جُمُعَةَ وَلَا جَمَاعَةَ؛ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ الْفَوْضَىٰ الَّتِي تَعُمُّ الدِّيَارَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ -عَلَيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ-، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»(١).

فَأَمَرَ بِطَاعَةِ وُلَاةِ الْأُمُورِ مِمَّنْ وَلَّاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ وَلَوْ كَانَ مُتَغَلِّبًا؛ وَلَكِنْ طَاعَتُهُ فِي الْمَعْرُوفِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(٢).(*).

وَإِذَا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ بِإِمَامٍ جَائِرٍ؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ جَوْرِهِ هُوَ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَرِيقَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ؛ لِأَنَّ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ يُوجِبُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ أَكْثَرَ مِنْ ظُلْمِهِ.

---

(١) أخرج البخاري (٦٩٣، و٦٩٦، و٧١٤٢)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَاسَهُ زَبِيبَةٌ**».

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤٠، و٧١٤٥، و٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠)، من حديث: عَلِيٍّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، فَأَوْقَدَ نَارًا، وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «وَاقِعُ الْأُمَّةِ الْمُرُّ» - الثُّلَاثَاءُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ| ٧- ٨- ٢٠١٢م»

فَيُصْبَرُ عَلَيْهِ كَمَا يُصْبَرُ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ ظُلْمِ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنْ لُقْمَانَ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وَهَذَا الْحَقُّ لِلْإِمَامِ بِالنُّصُوصِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ومِنْهَا:

- حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ؛ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**». أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ(١).

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢).

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ كَذَلِكَ: حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! فَمَا تَأْمُرُنَا؟

قَالَ ﷺ: «**تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**». أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤، و٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩)، من طريق: حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ العُطَارِدِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ**،...» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩)، من طريق: عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ،...بإسناده، بلفظ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا**،...» الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٣، و٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَثَرَةٌ**»: هِيَ الِانْفِرَادُ بِالشَّيْءِ عَمَّنْ لَهُ فِيهِ حَقٌّ، وَتَعَلُّقٌ بِالْأَمْوَالِ.

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**» أَيْ: مِنْ أُمُورِ الدِّينِ؛ إِمَّا بِالتَّقْصِيرِ فِيهَا، وَإِمَّا بِإِحْدَاثِ الْبِدَعِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ(١): «فِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمُتَوَلِّي ظَالِمًا عَسُوفًا؛ فَيُعْطَىٰ حَقُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَلَا يُخْرَجُ عَلَيْهِ وَلَا يُخْلَعُ، بَلْ يُتَضَرَّعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي كَشْفِ أَذَاهُ، وَدَفْعِ شَرِّهِ وَإِصْلَاحِهِ».

وَنَهَى الشَّرْعُ الْمُطَهَّرُ عَنْ سَبِّ الْأُمَرَاءِ وَإِهَانَتِهِمْ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغُشُّوهُمْ، وَلَا تُبْغِضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ**». أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»، وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ(٢).

هَذَا النَّهْيُ لَيْسَ تَعْظِيمًا لِذَوَاتِ الْأُمَرَاءِ -النَّهْيُ عَنْ سَبِّهِمْ، عَنِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، عَنِ الطَّعْنِ فِيهِمْ، عَنْ شَتْمِهِمْ، عَنْ إِهَانَتِهِمْ- النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ لَيْسَ

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١٥)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢٥٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٠/ رقم ٧١٠١، و٧١١٧)، وجود إسناده الألباني في «ظلال الجنة» (١٠١٥).

تَعْظِيمًا لِذَوَاتِ الْأُمَرَاءِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِعِظَمِ الْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي وُكِلَتْ إِلَيْهِمْ فِي الشَّرْعِ، وَالَّتِي لَا يُقَامُ بِهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مَعَ وُجُودِ سَبِّهِمْ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ؛ لِأَنَّ سَبَّهُمْ يُفْضِي إِلَىٰ عَدَمِ طَاعَتِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِلَىٰ إِيغَارِ صُدُورِ الْعَامَّةِ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَفْتَحُ مَجَالًا لِلْفَوْضَىٰ الَّتِي لَا تَعُودُ عَلَىٰ النَّاسِ إِلَّا بِالشَّرِّ الْمُسْتَطِيرِ، كَمَا أَنَّ نَتِيجَتَهُ وَثَمَرَتَهُ سَبُّهُمْ، وَالْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ، وَقِتَالُهُمْ، وَتِلْكَ هِيَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَىٰ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ(١): «وَلَعَلَّهُ لَا يُعْرَفُ طَائِفَةٌ خَرَجَتْ عَلَىٰ ذِي سُلْطَانٍ إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَزَالَتْهُ».(*).

فَالنَّبِيُّ ﷺ رَاعَىٰ حُقُوقَ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ-، وَعَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذَا الْمُجْتَمَعَ لَا يَصْلُحُ وَالنَّاسُ فِيهِ فَوْضَىٰ لَا سَرَاةَ لَهُمْ.(*/٢).

❊❊❊

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٩١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «عَقِيدَةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي حُقُوقِ الْحُكَّامِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ| ٦-٦-٢٠١٤م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مَظْلُومِيَّةُ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ| ١٧-١-٢٠١٤م.

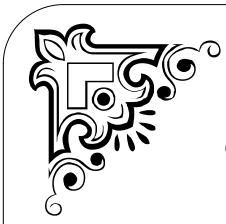

سَبِيلُ التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَةِ لِلْأُمَّةِ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ سَبِيلَ النَّجَاةِ الْعِلْمُ، وَالْعَمَلُ بِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ فِي هَذَا الْكَوْنِ سُنَنًا ثَوَابِتَ لَا تَتَخَلَّفُ، وَتَتَدَافَعُ أَمْوَاجُ الْبَشَرِ وَالْأَحْيَاءِ يَطْوِيهَا الْمَوْتُ وَتَبْتَلِعُهَا الْأَرْضُ، وَهَذِهِ السُّنَنُ شَاخِصَةٌ إِلَيْهِمْ لَا تَرِيمُ عَنْهُمْ، وَلَا تَنْفَكُّ عَنْ عَمَلِهَا فِيهِمْ بِإِذْنِ رَبِّهَا أَبَدًا.

فَنُصْرَةُ اللهِ ﷻ وَرَحْمَتُهُ الَّتِي هِيَ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَيْسَتْ قَرِيبًا إِلَّا مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؛ وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ قَرِيبًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ اللهِ وَنُصْرَتُهُ قَرِيبًا مِنْهُ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، سُنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ إِلَهِيَّةٌ لَا تَتَخَلَّفُ.

وَنَحْنُ إِذْ نَنْظُرُ فِي مَاضِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَحَاضِرِهَا لَا نَمْلِكُ إِلَّا الْعَجَبَ الْعَجِيبَ وَالدَّهَشَ الْغَرِيبَ؛ سَلَفٌ عَمَالِقَةٌ وَخَلَفٌ كَالْأَقْزَامِ، وَمَاضٍ أَشَدُّ إِضَاءَةً مِنَ الشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ الضُّحَىٰ، وَحَاضِرٌ يَنْدَىٰ لَهُ الْجَبِينُ، وَتَسْتَحِي الْأَقْلَامُ!!

وَهَذَا التَّنَاقُضُ الْعَجِيبُ بَيْنَ مَاضِي الْأُمَّةِ وَحَاضِرِهَا سَبَبُهُ إِهْمَالُ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي الْكَوْنِ، وَهِيَ فَصْلُ مَا بَيْنَ الْأَسْبَابِ وَمُسَبِّبَاتِهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي رَبَطَ اللهُ ﷻ فِيهِ بَيْنَ النَّتَائِجِ وَمُقَدِّمَاتِهَا، فَنَتَجَ عَنْ هَذَا الْفَصْلِ الْبَاطِلِ نَتَائِجُ عَجِيبَةٌ،

مِنْهَا: أَنْ تَرَىٰ الْبَطَالَةَ الْفَارِغَةَ مَعَ التَّوَاكُلِ الْكَاذِبِ سَبَبًا لِاسْتِمْطَارِ الرِّزْقِ مِنَ السَّمَاءِ!!

وَمِنْهَا: أَنْ تَرَىٰ الشِّرْكَ الْأَحْمَقَ مَعَ النَّظَرِ إِلَىٰ سَعَةِ الرَّحْمَةِ سَبَبًا لِدُخُولِ جَنَّةِ الرِّضْوَانِ!!

وَمِنْهَا: أَنْ تَرَىٰ الْعِلْمَ الدُّنْيَوِيَّ مِنْ غَيْرِ يَقِينٍ صَادِقٍ سَبَبًا لِلنَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ!!

وَمَا هَكَذَا كَانَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أَصْحَابِ الْجِدِّ وَالْعَزْمِ وَالتَّصْمِيمِ وَالْإِبَاءِ، لَا بُدَّ إِذَنْ مِنَ النَّظَرِ فِي أَسْبَابِ تَخَلُّفِ الْأُمَّةِ، لَا.. بَلْ لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي الشَّرَائِطِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْأُمَّةُ أُمَّةً، فَإِذَا تَوَفَّرَتْ هَذِهِ الشَّرَائِطُ، وَأَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ أُمَّةً بِحَقٍّ؛ نُظِرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَسْبَابِ تَخَلُّفِهَا أَوْ دَوَافِعِ رُقِيِّهَا وَتَرَقِّيهَا، وَقَدْ قَرَّرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ أَيَّ أُمَّةٍ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَفَّرَ فِيهَا شَرْطَانِ:

الْأَوَّلُ: فِكْرَةٌ تَقُومُ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ، وَمِحْوَرٌ تَدُورُ حَوْلَهُ، وَقُطْبٌ تَسْبَحُ فِي فَلَكِهِ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ صَحِيحَةً أَوْ خَاطِئَةً، قَدْ تَكُونُ فِكْرَةً وَثَنِيَّةً، فِكْرَةً إِلْحَادِيَّةً؛ كَالشُّيُوعِيَّةِ -مَثَلًا-، عِنْدَمَا قَرَّرَ (مَارْكِس) وَ(أَنْجِلْز» مَا قَرَّرَاهُ كَانَتْ هُنَالِكَ فِكْرَةٌ، فَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ لِنُشُوءِ تِلْكَ الْأُمَّةِ الشُّيُوعِيَّةِ بِكُلِّ مَا حَمَلَتْهُ لِلْعَالَمِ مِنَ الشُّرُورِ، وَمَا وَقَعَ عَلَىٰ الْعَالَمِ مِنْهَا؛ مِنْ ظُلْمٍ وَغُرُورٍ.

فَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: فِكْرَةٌ تَقُومُ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ؛ سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةُ صَحِيحَةً أَوْ خَاطِئَةً.

وَالثَّانِي مِنَ الشَّرْطَيْنِ: رِجَالٌ يَحْمِلُونَ الْفِكْرَةَ، فَتَخْتَلِطُ بِلُحُومِهِمْ، وَتَجْرِي بِهَا دِمَاؤُهُمْ كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْقَلْبِ، وَتَنْطِقُ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ وَجَوَارِحُهُمْ كَأَنَّهَا بَعْضٌ مِنَ الْعَقْلِ.

وَقَدْ قَامَ (لِينِين) وَمَنْ مَعَهُ بِحَمْلِ الْفِكْرَةِ، فَصَنَعُوا مَا صَنَعُوا مِنَ الشُّرُورِ، وَأَتَوْا مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْآثَامِ، وَتَسَلَّطُوا عَلَىٰ الْجُمْهُورِيَّاتِ أَوِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَحَرَفُوهُمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَىٰ الشُّيُوعِيَّةِ، ثَبَتَ مَنْ ثَبَتَ، وَانْحَرَفَ مَنِ انْحَرَفَ، وَتَوَفَّرَ الشَّرْطَانِ، فَقَامَتْ أُمَّةٌ تَحْمِلُ فِي بَاطِنِهَا عَوَامِلَ هَدْمِهَا؛ لِأَنَّهَا أُمَّةٌ ظَالِمَةٌ وَثَنِيَّةٌ مُلْحِدَةٌ كَافِرَةٌ.

فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ؛ وَجَدْنَا أَنَّ الْمِحْوَرَ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ وَالْقُطْبَ الَّذِي تَسْبَحُ فِي فَلَكِهِ هُوَ التَّوْحِيدُ.

التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْهَجُ الرُّسُلِ مُنْذُ أَنْ أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ، وَمُنْذُ كَوْنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَا أَشْرَقَ عَلَىٰ الْعَالَمِ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ الْعَالَمَ شَمْسُ تَوْحِيدٍ أَجْلَىٰ مِمَّا تَجَلَّىٰ فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ إِذْ قَيَّدَ اللهُ لِهَذَا التَّوْحِيدِ رِجَالًا يَحْمِلُونَهُ عَلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ بَعْدَ أَنِ اخْتَلَطَ بِقُلُوبِهِمْ إِلَىٰ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، يَنْشُرُونَ نُورَهُ فِي الْآفَاقِ؛ لِيُخْرِجُوا الْعِبَادَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَىٰ سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَىٰ سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

إِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ الْيَوْمَ مُوَحِّدَةً حَقًّا، وَكَانَ رِجَالُهَا يَحْمِلُونَ هَذَا التَّوْحِيدَ يَقِينًا وَصِدْقًا؛ فَهِيَ أُمَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، لَا أُمَّةٌ مِنْ قَوَارِيرَ؛ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْ أَسْبَابِ تَخَلُّفِهَا وَضَعْفِهَا.

مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَأَخُّرِ الْمُسْلِمِينَ: الْجَهْلُ الَّذِي يَجْعَلُ فِيهِمْ مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْخَلِّ، فَيَتَقَبَّلُ السَّفْسَطَةَ(١) قَضِيَّةً مُسَلَّمَةً، وَلَا يَعْرِفُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا.

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَأَخُّرِ الْمُسْلِمِينَ: الْعِلْمُ النَّاقِصُ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ خَطَرًا مِنَ الْجَهْلِ الْبَسِيطِ؛ لِأَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا قَيَّدَ اللهُ لَهُ مُرْشِدًا عَالِمًا؛ أَطَاعَهُ، وَلَمْ يَتَفَلْسَفْ عَلَيْهِ، وَأَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ النَّاقِصِ؛ فَهُوَ لَا يَدْرِي وَلَا يَقْتَنِعُ بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي، وَكَمَا قِيلَ: «ابْتِلَاؤُكُمْ بِمَجْنُونٍ خَيْرٌ مِنَ ابْتِلَائِكُمْ بِشِبْهِ عَالِمٍ!!»(٢).

فَانْظُرْ -هَدَانِي اللهُ وَإِيَّاكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ- كَيْفَ كَانَ الْجَهْلُ أَوَّلَ مَا يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْخِنْصَرُ فِي أَسْبَابِ تَأَخُّرِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا تَكْتَفِي بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تُثَنِّيَ بِمَا هُوَ مُتَّصِلٌ بِالْجَهْلِ بِسَبَبٍ وَثِيقٍ، وَهُوَ الْعِلْمُ النَّاقِصُ!!

فَتَدُورُ الْمَسْأَلَةُ عَلَىٰ نَفْيِ الْجَهْلِ، وَتَعَلُّمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعِلْمُ النَّافِعُ مَا عَرَّفَ الْعَبْدَ بِرَبِّهِ وَدَلَّهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ عَرَفَهُ وَوَحَّدَهُ، وَأَنِسَ بِهِ، وَاسْتَحْيَا مِنْ قُرْبِهِ، وَعَبَدَهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ؛ وَلِهَذَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: «إِنَّ أَوَّلَ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ»(٣).

---

(١) «**السَّفْسَطَة**» سفسط الشَّخصُ: غالط في جداله وأتىٰ بحكمة مضلِّلة، جادل بالخطأ والتضليل، هو: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته.
انظر: «**التعريفات**»: (ص ١١٨ - ١١٩)، و«**معجم اللغة المعاصرة**»: (٢/ ١٠٧٣)، مادة: (سفسطَ).

(٢) «**لماذا تأخر المسلمون**» لشكيب أرسلان: (ص ٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٣١ - ٣٢، رقم ٢٦٥٣)، من حديث: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا أَوَانُ**
=

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ؛ وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ»(١).

وَقَالَ الْحَسَنُ: «الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ عَلَىٰ اللِّسَانِ، فَذَاكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ، وَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ، فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ»(٢).

=

يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّىٰ لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَىٰ شَيْءٍ» فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا القُرْآنَ فَوَاللهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟**» قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، قُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَىٰ مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ: «صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، إِنْ شِئْتَ لَأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ الخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَىٰ فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وصححه الألباني في «**صحيح سنن الترمذي**»: (٣/ ٥٨ - ٩٥، رقم ٢٦٥٣).

وروي عَنْ: عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ وشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنهما.

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ٨٨، رقم ٥٠٤٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٥٦٣، رقم ٨٢٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الدارمي في «**المسند**»: (١/ ٣٧٣ - ٣٧٤، رقم ٣٧٦).

والأثر صحح إسناده موقوفا الألباني في هامش «**المشكاة**»: (١/ ٨٩).

وأخرجه ابن المبارك في «**الزهد**»: (ص ٣٣٢، رقم ١١٦١)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (٧/ ٨٢، رقم ٣٤٣٦١)، وابن بشران في «**الأمالي**»: (ص ٢٦٥، رقم ٦١٦)، وابن عبد البر في «**جامع العلم وفضله**»: (١/ ٦٦١، رقم ١١٥٠)، مرفوعا.

وَكَانَ سَلَفُنَا يَقُولُونَ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ بِاللهِ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللهِ، وَعَالِمٌ بِاللهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللهِ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللهِ، وَأَكْمَلُهُمُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ الَّذِي يَخْشَىٰ اللهَ، وَيَعْرِفُ أَحْكَامَهُ»(١).

فَالشَّأْنُ كُلُّهُ فِي أَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَدِلُّ بِالْعِلْمِ عَلَىٰ رَبِّهِ، فَيَعْرِفُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَإِذَا عَرَفَهُ -إِذَا عَرَفَ رَبَّهُ- فَقَدْ وَجَدَهُ مِنْهُ قَرِيبًا، وَمَتَىٰ وَجَدَهُ مِنْهُ قَرِيبًا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ، وَأَجَابَ دُعَاءَهُ.

كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ عَنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ: «مَعَهُ أَصْلُ الْعِلْمِ؛ خَشْيَةُ اللهِ»(٢).

فَأَصْلُ الْعِلْمِ: الْعِلْمُ بِاللهِ الَّذِي يُوجِبُ خَشْيَةَ اللهِ، وَمَحَبَّةَ اللهِ، وَالْقُرْبَ مِنْهُ، وَالْأُنْسَ بِهِ، وَالشَّوْقَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَتْلُوهُ الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ اللهِ، وَمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْعَبْدِ؛ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ، أَوْ حَالٍ، أَوِ اعْتِقَادٍ.

فَمَنْ تَحَقَّقَ بِهَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ؛ كَانَ عِلْمُهُ عِلْمًا نَافِعًا، وَحصَلَ لَهُ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَالْقَلْبُ الْخَاشِعُ، وَالنَّفْسُ الْقَانِعَةُ، وَالدُّعَاءُ الْمَسْمُوعُ، وَمَنْ فَاتَهُ هَذَا الْعِلْمُ

---

(١) أخرجه الدارمي في «**المسند**»: (١/ ٣٧٢، رقم ٣٧٥)، وأبو نعيم في «**الحلية**»: (٧/ ٢٧٩ - ٢٨٠)، والبيهقي في «**المدخل**»: (ص ٣٢٩ - ٣٣٠، رقم ٥٢٩)، وابن عبد البر في «**جامع العلم وفضله**»: (١/ ٨٢٢، رقم ١٥٤٣)، بإسناد صحيح، عَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّيْمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه المعافى بن زكريا في «**الجليس الصالح**»: (ص ٥١٦)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**»: (١٣/ ٢٠٢)، عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل أنه قَالَ: قلت لأبي: هل كان مع معروف الكرخي شيء من العلم؟ فقال لي: يا بني كان معه رأس العلم، خشية الله تعالىٰ.

النَّافِعُ؛ وَقَعَ فِي الْأَرْبَعِ الَّتِي اسْتَعَاذَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ(١)، وَصَارَ عِلْمُهُ وَبَالًا وَحُجَّةً عَلَيْهِ، فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْشَعْ قَلْبُهُ لِرَبِّهِ، وَلَمْ تَشْبَعْ نَفْسُهُ مِنَ الدُّنْيَا، بَلِ ازْدَادَ عَلَيْهَا حِرْصًا وَلَهَا طَلَبًا، وَلَمْ يُسْمَعْ دُعَاؤُهُ؛ لِعَدَمِ امْتِثَالِهِ لِأَوَامِرِ رَبِّهِ، وَعَدَمِ اجْتِنَابِهِ لِمَا يُسْخِطُهُ وَيَكْرَهُهُ.

هَذَا إِنْ كَانَ عِلْمُهُ عِلْمًا يُمْكِنُ الِانْتِفَاعُ بِهِ، وَهُوَ الْمُتَلَقَّىٰ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانَ مُتَلَقًّىٰ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَهُوَ غَيْرُ نَافِعٍ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يُمْكِنُ الِانْتِفَاعُ بِهِ، بَلْ ضَرَرُهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ، وَعَلَامَةُ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ: أَنْ يُكْسِبَ صَاحِبَهُ الزَّهْوَ وَالْفَخْرَ وَالْخُيَلَاءَ، وَطَلَبَ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُنَافَسَةِ فِيهَا، وَطَلَبَ مُبَاهَاةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُمَارَاةِ السُّفَهَاءِ، وَصَرْفِ وُجُوهِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَرُبَّمَا ادَّعَىٰ بَعْضُ أَصْحَابِ هَذِهِ الْعُلُومِ مَعْرِفَةَ اللهِ، وَطَلَبَهُ، وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ، وَلَيْسَ غَرَضُهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا طَلَبَ التَّقَدُّمِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ، وَإِحْسَانَ ظَنِّهِمْ بِهِمْ، وَكَثْرَةَ أَتْبَاعِهِمْ، وَالتَّعَاظُمَ بِذَلِكَ عَلَىٰ النَّاسِ.

وَعَلَامَةُ ذَلِكَ: إِظْهَارُ دَعْوَىٰ الْوَلَايَةِ كَمَا كَانَ يَدَّعِيهَا أَهْلُ الْكِتَابِ، وَكَمَا ادَّعَاهَا الْقَرَامِطَةُ، وَالْبَاطِنِيَّةُ، وَنَحْوُهُمْ، هَذَا بِخِلَافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ مِنَ احْتِقَارِ نُفُوسِهِمْ وَازْدِرَائِهَا بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

---

(١) كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**».

أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٠٨٨، رقم ٢٧٢٢)، من حديث: زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه.

قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «مَنْ قَالَ إِنَّهُ عَالِمٌ؛ فَهُوَ جَاهِلٌ»(١).

قَالَ الْفَارُوقُ رضي الله عنه: «مَنْ قَالَ إِنَّهُ عَالِمٌ؛ فَهُوَ جَاهِلٌ».

مِنْ عَلَامَاتِ ذَلِكَ: عَدَمُ قَبُولِ الْحَقِّ وَالِانْقِيَادِ إِلَيْهِ، وَالتَّكَبُّرُ عَلَىٰ مَنْ يَقُولُ الْحَقَّ؛ خُصُوصًا إِذَا كَانَ دُونَهُمْ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، وَالْإِصْرَارُ عَلَىٰ الْبَاطِلِ خَشْيَةَ تَفَرُّقِ قُلُوبِ النَّاسِ عَنْهُمْ بِإِظْهَارِ الرُّجُوعِ إِلَىٰ الْحَقِّ.

إِنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ هُوَ الَّذِي يُورِثُ الْخَشْيَةَ، وَلَا يُورِثُ الْخَشْيَةَ سِوَىٰ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ.

وَالْعِلْمُ الصَّحِيحُ: قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ، قَالَ الصَّحَابَةُ.

الْعِلْمُ الصَّحِيحُ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَمَّا مَا يُرَادُ بَثُّهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِحُجَّةِ أَنَّهُ هُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ؛ فَهُوَ مَحْضُ الزَّيْغِ، دَعْوَةٌ إِلَىٰ الْإِرْجَاءِ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُقَرَّرُ عَلَىٰ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَنِ اعْتَقَدَ فِي قَلْبِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا بِلِسَانِهِ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ، وَلَا يَضُرُّهُ نَطَقَ بِـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَمْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا! فَضْلًا عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ!!(*).

---

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في زوائد «**المسند**»: (١/ ١٦٢، رقم ١٧)، والخلال في «**السنة**»: (٤/ ١٠٨، رقم ١٢٨٢)، وابن بطة في «**الإبانة**»: (٢/ ٨٦٨ - ٨٦٩، رقم ١١٨٠)، واللالكائي في «**شرح أصول الاعتقاد**»: (٥/ ١٠٤٧، رقم ١٧٧٧)، وابن مَرْدُويَةَ كما في «**مسند الفاروق**»: (٢/ ٥٠٣، رقم ٨١١)، من طرق عن: عمر رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «تَحْذِيرُ الشَّبَابِ مِنْ مُشَابَهَةِ الْخَوَارِجِ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٦هـ| ١٦-١-٢٠١٥م.

وَلَنْ تُفْلِحَ الْأُمَّةُ وَلَنْ تَصِلَ إِلَىٰ غَرَضِهَا وَلَنْ تُحَصِّلَ مَقْصُودَهَا إِلَّا بِالْعَوْدَةِ إِلَىٰ كِتَابِ رَبِّهَا وَسُنَّةِ نَبِيِّهَا ﷺ بِفَهْمِ سَلَفِهَا الصَّالِحِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَ رضي الله عنهم وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ أَجْمَعِينَ-.

فَهَذِهِ سَبِيلُ النَّجَاةِ، لَا سَبِيلَ لِلنَّجَاةِ سِوَاهَا، وَأَمَّا التَّخَبُّطُ، وَأَمَّا هَذَا الْهَرَجُ الَّذِي تُعَانِي مِنْهُ الْأُمَّةُ؛ فَهَذَا هُوَ الْمَضِيقُ الَّذِي لَا مَخْرَجَ لَهُ، وَالْمَأْزِقُ الَّذِي لَا نَجَاةَ مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِلَا تَخَالُفٍ وَلَا تَدَابُرٍ، وَلَا شَحْنَاءَ وَلَا بَغْضَاءَ.(*).

فَاللَّهُمَّ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينُ؛ فَهِّمْنَا حَقِيقَةَ الدِّينِ، وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ الْيَقِينِ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَحْرِيرُ الْقُدْسِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٩هـ| ١٥-١٢-٢٠١٧م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٥هـ| ٢٩-١٠-٢٠٠٤م.

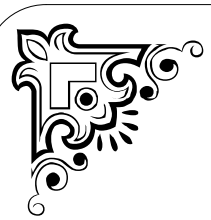

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

مُهِمَّةُ الْإِعْمَارِ وَالتَّنْمِيَةِ فِي الْأَرْضِ ٤

مَفْهُومُ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ..... ٨

مَجَالَاتُ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ ١٢

تَنْمِيَةُ الْعَامِلِ الْبَشَرِيِّ..... ١٣

التَّنْمِيَةُ الِاقْتِصَادِيَّةُ..... ٢٨

التَّنْمِيَةُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ..... ٤٢

التَّنْمِيَةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ..... ٥٣

التَّنْمِيَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ..... ٥٧

رَكَائِزُ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ..... ٦٠

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ: طَاعَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى..... ٦٣

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ: الْعَامِلُ الْبَشَرِيُّ..... ٦٤

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ: الْعِلْمُ ٧٢

مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ: الْعَمَلُ ٧٧
مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَةِ: الْأَمْنُ..... ٨١
مِنْ رَكَائِزِ التَّنْمِيَةِ: احْتِرَامُ النِّظَامِ الْعَامِّ وَطَاعَةُ وُلَاةِ الْأُمُورِ..... ٨٦
سَبِيلُ التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَةِ لِلْأُمَّةِ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ..... ٩٣
الْفِهْرِسُ ١٠٣